سلسلة المعارف التعليمية

التبليغ الديني

مفهومه، مضمونه، أساليبه

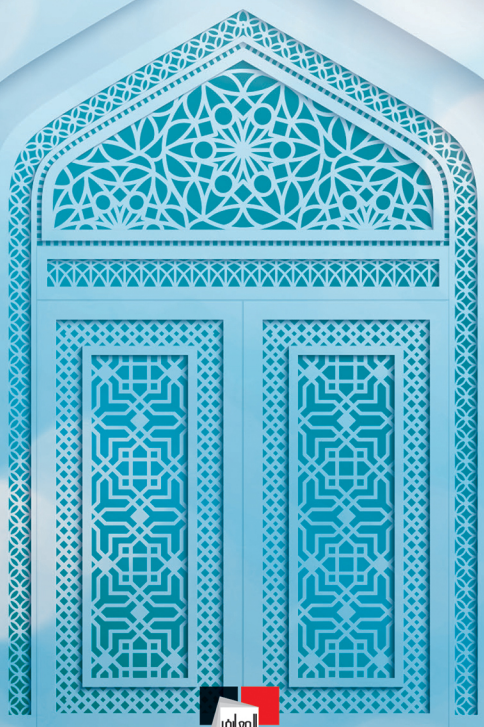

دار المعارف الإسلامية الثقافية

سلسلة المعارف التعليمية

التبليغ الديني

مفهومه، مضمونه، أساليبه

دار المعارف الإسلامية الثقافية

الـــكـــتـــاب: **التبليغ الديني** مفهومه، مضمونه، أساليبه

إعـــــــداد: **مركز المعارف للتأليف والتحقيق**

إصـــــــدار: **دار المعارف الإسلاميّة الثقافية**

تصميم وطباعة: DB UK 00961 3 336218

الطبعة الثانية – 2018م

ISBN 978-614-467-073-6

books@almaaref.org.lb
00961 01 467 547
00961 76 960 347

سلسلة المعارف التعليمية

التبليغ الديني

مفهومه، مضمونه، أساليبه

دار المعارف الإسلامية الثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

المقدّمة 9

الدرس الأوّل: مفهوم التبليغ وفضله وأهدافه 11

تمهيد 13

التبليغ في اللغة والاصطلاح 13

أهميّة التبليغ وفضله 15

فضل العلم مشروط بالتبليغ 18

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 19

الموقع القياديّ للمبلِّغ 23

الدرس الثاني: حكم التبليغ وأهدافه 27

مقدّمة 29

دائرة التبليغ 29

حكم التبليغ 30

الاستدلال على وجوب التبليغ 31

أهداف التبليغ 32

الدرس الثالث: خصائص المبلّغ 35

تمهيد 37

قداسة وظيفة المبلّغ 37

خصائص شخصيّة المبلِّغ 38

الدرس الرابع: صفات المبلّغ 47
تمهيد 49
القسم الأوّل: الصفات الأخلاقيّة 49
كيف نكون صادقين في التبليغ 54
القسم الثاني: الصفات العلميّة 56
القسم الثالث: الصفات العمليّة 57

الدرس الخامس: المضمون التبليغيّ 63
تمهيد 65
أهميّة المضمون وخصوصيّته 65
إعداد المضامين التبليغيّة 65
المضمون والمخاطبون: حدّثوهم بما يعرفون 70

الدرس السادس: ضوابط المضمون التبليغيّ عند الإمام الخامنئيّ 73
تمهيد 75
شروط المضمون التبليغيّ وضوابطه 75

الدرس السابع: أساليب التبليغ - 1 - 85
تمهيد 87
التبليغ بين الصور التقليديّة والمستحدثة 87
ما هو أسلوب التبليغ؟ 89
خصائص هذه الأساليب 89
من أساليب التبليغ في القرآن الكريم 91
تنوّع الأساليب التبليغيّة 97
وسائل وأفكار للتبليغ في الإنترنت 98
وسائل وأفكار للتبليغ في مناسبات الفرح والأعياد 99

الدرس الثامن: أساليب التبليغ - 2 - 101
تمهيد 103
تابع- من أساليب التبليغ في القرآن الكريم 103

الدرس التاسع: أساليب التبليغ - 3 - 115
تمهيد 117
تابع- من أساليب التبليغ في القرآن 117
نماذج الأمثال القرآنيّة ومواصفاتها 120

الدرس العاشر: أساليب التبليغ - 4 - 127
تمهيد 129
تابع- من أساليب التبليغ في القرآن 129

الدرس الحادي عشر: العلاقة بين المبلّغ والنّاس 143
تمهيد 145
مسؤوليّات المبلّغ تجاه الناس 145
مسؤوليّات الناس تجاه العلماء 150

الدرس الثاني عشر: المُخاطَبون (الجمهور) 155
تمهيد 157
ضرورة معرفة المخاطبين 157
خصائص المخاطبين 158
موانع استجابة المخاطبين 163

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد ﷺ وعلى آله الأطهار الميامين، وبعد...

يؤكّد الإمام السيّد عليّ الخامنئيّ دام ظله أنّ الدِّين الإسلاميّ هو دين التبليغ. وأنّ الجهاد التبليغيّ هو المسؤوليّة الدائمة الملقاة على العلماء والحوزات الدِّينيّة. ويجب على العلماء بصفتهم رافعي راية التديّن أن يحملوا على عاتقهم راية الدعوة إلى الدِّين، وأن يبذلوا قصارى جهدهم في التبليغ للدين عبر تبيين المبادئ والقيم الإسلاميّة وتثبيتها والدفاع عنها. وأنّ التبليغ تكليف مستمرّ يتأكّد في الظروف الراهنة، حيث اتّسعت دائرة الاحتياجات والتساؤلات والإشكاليّات، واشتدّ الظمأ إلى منهل الإسلام العذب وازدادت الآذان شوقاً لسماع تعاليمه. فاتّساع مساحة المخاطبين رسّخت مسؤوليّة الدعاة والمبلِّغين في الوقت الحاضر، وجعلتهم مسؤولين حيال الناس المتعطّشين للمعارف الدِّينيّة.

وذلك لأنّ الإعلام المضادّ للدين والإسلام - والذي تتحكّم فيه القدرات العالميّة وتوظّف فيه أحدث الأساليب والطرائق - قد بلغ أقصى مداه[1]، وإنّ الغزو الثقافيّ يهدف إلى استلاب الجيل الجديد عقائديّاً، ويرمي إلى إقصاء العقيدة الدِّينيّة وتغييب الأصول الثوريّة والفكر الفعّال الّذي يخشاه الاستكبار حاليّاً[2]، وإلى دفع المجتمع إلى الرذيلة، وإلهائه بالأمور التافهة، والمظاهر الخادعة، وتغذّي نزعة الإخلاد إلى الراحة والافتتان بالجسد،

(1) من خطاب لسماحته خلال لقائه علماء أهل السنّة في بندر تركمان, 1363/2/18هـ.ش.

(2) من خطاب لسماحته خلال لقائه العاملين في الحقل الإعلاميّ ورؤساء المناطق في وزارة التعليم والتربية, 1370/10/25هـ.ش.

وتفتح أبواب الفساد أمام الجيل الجديد متسترّة بآلاف الأقنعة والحيل لتُوقع الشباب في شباكها، ... وليس ما يفعله مع شبابنا على الصعيد الثقافيّ هجوماً ثقافيّاً، إنّما هو غارة ونهب وقتل جماعيّ ثقافيّ. هذا ما يفعله العدوّ معنا اليوم[1].

هذا الأمر وغيره يمثّل جانباً من مسؤوليّة مبلّغي الدين، فمّما لا ريب فيه أنّ علماء الدِّين لم تتوافر لهم -على مدى تاريخهم- ظروف مناسبة للتبليغ الدينيّ كما هي الآن، كما لم تتهيّأ لهم الإمكانيّات والدعم والوسائل والآذان الصاغية والقلوب المشتاقة كما هو الوضع حاليّاً...[2].

إنّها فرصة عظيمة وعزيزة، ويجب علينا اليوم - باعتبارنا مبلِّغين للدين - أن نؤدّي دوراً فاعلاً وخالداً، وسيحاسبنا الله تعالى على ذلك، إنّها وظيفتنا وعلينا أن نعدّ أنفسنا[3].

هذا الكتاب «**التبليغ الدينيّ**»، يتضمّن مادّة تعريفيّة بالتبليغ ودور المبلغ ووظائفه، ويضيء على الكثير من الأساليب والأدوات التي يحتاج إليها المبلّغ في عمليّة التبليغ، وقد راعينا فيه سهولة العبارة وسلاستها ليستفيد منه الطلاب والمبلّغون.

والحمد لله رب العالمين

مركز المعارف للتأليف والتحقيق

(1) من خطاب لسماحته خلال لقائه بقادة السرايا في قوات التعبئة، 1371/4/22هـ.ش.

(2) من خطاب لسماحته خلال لقائه علماء الدِّين في دامغان, 1367/4/15هـ.ش.

(3) المصدر نفسه.

الدرس الأوّل:

مفهوم التبليغ وفضله وأهدافه

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى المعنى اللغويّ والاصطلاحيّ للتبليغ.

2 . يتعرّف إلى أهميّة التبليغ وفضله.

3 . يفهم أهداف التبليغ.

تمهيد

التبليغ وظيفة مقدّسة اختار لها الله أفضل البشر وأكملهم فكان الأنبياء والرسل مبلغّين ومنذرين، وتصدّوا لهذه الفريضة الإلهيّة منذ بداية الخليقة، فحيث وجد باطل وفساد وانحراف يهدِّد الإنسان والمجتمع الإنسانيّ بالضلالة والغواية، كان هناك أنبياء ومنذرون، وإلى ذلك يُشير قولُه تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[1].

التبليغ في اللغة والاصطلاح

1. التبليغ لغة:

التبليغ لغةً بمعنى الإيصال، والاسم منه البلوغ، إذ يُقال: بلغ الصبيّ أي وصل إلى سنّ الرشد. وهو يشمل كلّ رسالة سماويّة أو أيّ نداء من الله تعالى إلى الناس. والبلوغ، والإبلاغ، والتبليغ بمعنى: الانتهاء، والوصول، والإيصال، والتوصيل إلى غاية مقصودة أو حدٍّ مراد، سواء كان هذا الحدُّ أو تلك الغاية مكاناً أو زماناً أو أمراً من الأمور المقدّرة معنوياً[2].

وما ورد في القرآن الكريم من لفظ «**بلغ**» ومشتقّاته يعود في أصله لهذا المعنى. نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾[3]. أي حتّى يصل الهدي المكان المخصَّص له، والغاية أو الهدف هنا مكانيّ.

---

(1) سورة فاطر، الآية 24.

(2) انظر: الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، دمشق، 1412ه، ط1، مادة بلغ، ص 144.

(3) سورة البقرة، الآية 196.

ونحو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ﴾[1]. حتّى إذا وصل إلى الزمن الّذي يكون فيه متكاملًا عقلًا وجسداً، وهو الزمن الّذي يكون فيه قد مضى من عمره أربعون سنة. والغاية كما هو واضح زمانيّة.

ونحو قوله تعالى: ﴿قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا﴾[2]، أي إنّني قد وصلت إلى الحدّ الّذي لا يُقبل عنده عذري. وهو أمر معنويّ.

ومن ثمّ فإنّ معنى التبليغ المراد بيانه هو إيصال شيء إلى شيء آخر، وغالباً ما يُستعمل معنى التبليغ في الأمور المعنويّة ويقلّ في الأمور المحسوسة نحو قولنا: أبلَغت أو بلّغت زيداً رسالة، أو فلاناً إنذاراً. قال تبارك وتعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ﴾[3]، بمعنى أنّني مكلّف بأنْ أوصل لكم رسالات الله وهي تعاليمه وإرشاداته.

2. التبليغ اصطلاحاً:

يُمكن أن نفهم -من المعنى اللغويّ والاستعمال القرآنيّ- أنّ التبليغ في الإسلام هو عرض وإيصال التعاليم والإرشادات السماويّة الإسلاميّة إلى الناس، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[4].

وعليه فإنّ إطلاع الناس على الأحكام الإسلاميّة والمعارف الإلهيّة وتبشير المؤمنين بالجنّة والنعيم الإلهيّ وإنذار المخالفين بالعذاب وتحذيرهم من مغبّة الانحراف وراء الشهوات وملذّات الدنيا ونسيان الآخرة هو المقصود من التبليغ الإسلاميّ.

فالتبليغ هو تعليم الناس أحكام الدِّين الإسلاميّ والمعارف الإلهيّة، وتبشير الناس بالجنان ونِعَم الله سبحانه وترغيبهم في العمل للحصول على رِضا الله تعالى، وتحذيرهم من مخالفة أوامر الخالق جلّ وعلا، ودعوتهم إلى الاعتقاد بأصول الدِّين، والعمل بالفروع...

---

(1) سورة الأحقاف، الآية 15.
(2) سورة الكهف، الآية 76.
(3) سورة الأعراف، الآية 62.
(4) سورة المائدة، الآية 67.

وقد استخدم القرآن الكريم مصطلحات مختلفة إلّا أنّها جميعاً تصبّ في معنى واحد من قبيل:

- الدعوة، مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾[1].
- الإرشاد، مثل قوله تعالى: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾[2].
- التبليغ، مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾[3].
- التبشير، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[4].

فالتبليغ في اصطلاحنا هو التبليغ القرآنيّ، أي إيصال الحقيقة إلى أذهان الناس، وإخراجهم من ظلمات الجهل، فنحن لدينا حقيقة وضّاءة اسمها التوحيد والإسلام، وقد حجبتها سحب الجهل والعداء، والتبليغ يعني إيصال تلك الحقيقة إلى أذهان الناس وعقولهم[5].

أهميّة التبليغ وفضله

لقد كثرت الآيات والروايات الّتي تتحدّث عن مكانة التبليغ والدعوة وأهمّيتهما في حياة الأمم والشعوب على طول التاريخ، وذلك نظراً لارتباطهما بمختلف مفاصل المجتمع البشريّ ومستوياته ومتطلّباته الأخرويّة والدنيويّة، ولكونهما يُمثّلان الواسطة المباشرة بين السماء والأرض، والوسيلة الّتي اختارها الله تعالى لهداية خلقه وتعليمهم وتزكيتهم. وما الحديث المفصّل الّذي ورد في الدعوة والتبليغ والإرشاد والهداية والأمر بالمعروف ونحوها من المصطلحات- في موارد عدّة في الكتاب والسنّة - إلّا خير دليل على الحرص الإلهيّ على إيصال الشرائع السماويّة، ولا سيّما الشريعة الإسلاميّة، وتعليم أحكامها للناس، وهو ما نطلق عليه «**عمليّة التبليغ والدعوة إلى الله تعالى**».

(1) سورة نوح، الآية 5.
(2) سورة الجن، الآية 2.
(3) سورة الأحزاب، الآية 39.
(4) سورة الإسراء، الآية 105.
(5) الإمام الخامنئيّ، من خطاب له في قمّ، بتصّرف.

وتبلغ قيمة عمل المبلِّغ درجة عالية، بحيث يستحقّ أن يكون من خلفاء رسول الله الّذين يستحقّون الرحمة، وقد بيّن ذلك رسول الله ﷺ بقوله: «**رحم الله خلفائي فقيل يا رسول الله، من خلفاؤك؟ قال ﷺ: الذين يُحيونَ سنّتي ويُعلّمونها عباد الله**»[1].

ويغبطه أصحاب الدرجات الرفيعة عند الله تعالى كالأنبياء عليهم السلام والشهداء، روي عن رسول الله أنّه قال ﷺ: «**ألا أحدّثكم عن أقوام ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم يوم القيامة الأنبياء والشهداء بمنازلهم من الله على منابر من نور؟ فقيل «من هم يا رسول الله ﷺ؟ قال ﷺ: «هم الذين يُحبّبون عباد الله إلى الله، ويُحبّبون عباد الله إليَّ، فإذا أطاعوهم أحبّهم الله**»[2].

«**ولهذا فإنّ مسألة التبليغ قضيّة هامّة، ويُمكن القول - في دنيا اليوم - إنّها تقع على رأس كلّ الأمور، لأنّ العالم اليوم يتّكىء على مسند التبليغ والإعلام، ولذا فإنّ التبليغ والإعلام هما أرقى شيء يُمكنه تثمير الثورة في الداخل وتصديرها للخارج**»[3].

ولا يخفى أنّ التبليغ والإعلام أحد أهمّ الوسائل الّتي يستعملها أعداء الدِّين، وبأساليب حديثة، فيحوِّلون غير الممكنٍ ممكناً، ويُسقطون الحكومات، ويُحاربون الثورات فيُغيِّرون مسارها، ويُسمِّمون الأفكار بالثقافة المنحرفة، والأفكار المغلوطة، فيدسُّونها في روحيَّات الناس وبشكل واسع جدّاً. فيجب علينا والحال هذه أن نهتمّ بالتبليغ، بل علينا أن نوليَه اهتماماً خاصّاً، فنفوِّت على الأعداء فرصة الوصول إلى أهدافهم المشؤومة ومخطّطاتهم الخبيثة.

وإلى مثل هذا أشار الإمام الخمينيّ قدس سره بقوله: «**إنّ التبليغ والإعلام مسألة هامّة جدّاً وحسَّاسة للغاية. والدنيا تُدير أمورها اليوم بوسيلة التبليغ والإعلام، ويستفيد أعداؤنا ضدّنا من حرّيّة التبليغ والإعلام بشكل لا يستفيدونه من غيرها، فينبغي لنا أن نوليَ تلك المسألة الهامّة اهتماماً خاصّاً ونتوجّه إليها أكثر من توجّهنا إلى مسألة أخرى**»[4].

---

(1) المجلسّي، العلاّمة محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسّسة الوفاء، لبنان - بيروت، 1403ه - 1983م، ط2، ج2، ص25.

(2) المصدر نفسه، ج 2، ص 24.

(3) صحيفة النور، ج14، ص41 و44.

(4) صحيفة النور، مصدر سابق ج7، ص157.

ولا بُدّ من الالتفات إلى أنّ عدم الاهتمام بأمر التبليغ، يعني عدم الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ما يعني في أحد نتائجه تدمير المجتمع، فالناس الذين يفعلون المنكر، ولا يردعهم العلماء عن فعلهم، فيبيِّنون لهم المعروف ويدْعونهم إلى العمل به، لن يكون مصيرهم سوى الدمار والهلاك!!

وقد تضافرت الروايات عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وآله الأطهار عليهم السلام الّتي تحثّ على تبليغ الدِّين وتعليم أحكامه، وإيصال تعاليمه وقيمه إلى عموم الناس، وبيّنت المنزلة الرفيعة والمقام الخاصّ للّذين يتصدّون لهذا الواجب، واعتبرت أنّ هذه الوظيفة هي وظيفة الأنبياء عبر التاريخ.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يجيء الرجل يوم القيامة وله من الحسنات كالسحاب الركام أو كالجبال الرواسي فيقول: يا ربّ أنّى لي هذا ولم أعملها؟ فيقول: هذا علمك الّذي علّمته الناس يُعمل به من بعدك**»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما تصدّق الناس بصدقة مثل علم يُنشر**»[2].

وورد عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «**لمّا كلّم الله عزَّ وجلّ موسى بن عمران** عليه السلام، **قال موسى: إلهي ما جزاء من دعا نفساً كافرة إلى الإسلام؟ قال: يا موسى آذن له في الشفاعة يوم القيامة لمن يُريد**»[3].

وورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «**أفضل ما يقدّمه العالِم من محبّينا ومواليا أمامه ليوم فقره وفاقته وذلّه ومسكنته أن يُغيث في الدنيا مسكيناً من محبّينا من يد ناصبٍ عدوٍّ لله ولرسوله، يقوم من قبره والملائكة صفوف من شفير قبره إلى موضع محلّه من جنان الله فيحملونه على أجنحتهم ويقولون: طوباك طوباك يا دافع الكلاب عن الأبرار، ويا أيُّها المتعصِّب للأئمّة الأخيار**»[4].

(1) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 2، ص 18.

(2) المصدر نفسه، ج 2، ص 25.

(3) الصدوق، الشيخ محمّد بن علّي بن بابويه، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسّسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسّسة البعثة، إيران - قم، 1417ه، ط1، ص 277.

(4) الطبرسّي، الشيخ أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، تعليق وملاحظات السيّد محمّد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، العراق - النجف الأشرف، 1386هـ - 1966م، لا.ط، ج 1، ص 12.

وورد عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام أنّه قال: «**ألا فمن كان من شيعتنا عالِماً بعلومنا وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، ألا فمن هداه وأرشده وعلّمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى**»[1].

فضل العلم مشروط بالتبليغ

لقد بلغت النصوص الشريفة في فضل العلم والعالم حدّاً لم يبق خفيّاً على أحد، وجرت عادة طلّاب العِلم على الاستشهاد بتلك النصوص لبيان فضيلة عملهم، وصحّة منهجهم. وربّما اتّخذ بعضهم من تلك النصوص ذريعة لترك العمل التبليغيّ عاكفاً على طلب العِلم دونما تفكير بالهدف المطلوب وراء ذلك. إلّا أنّ دراسة بسيطة للنصوص الشريفة كافية للدلالة على أنّ فضل العِلم والعالِم وثواب طلب العِلم مشروط باستخدامه في هداية الناس، ونشره لهم، وبدون ذلك يفقد قيمته وفضله وثوابه.

فقد ورد عن السيدة الزهراء عليها السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: سمعت أبي يقول: «**إنّ علماء شيعتنا يُحشرون فيُخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد الله**»[2]. إنّ الفقرة الأخيرة في هذا النصّ واضحة الدلالة على اعتبار عمليّة الهداية والإرشاد هي المقياس في فضل العِلم والعالِم.

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**العالِم كمن معه شمعة تُضيء للناس، فكلّ من أبصر شمعته دعا له بخير...**»[3].

فأنت ترى أنّ قضيّة الإضاءة للآخرين وتنوير طريقهم هي شأن العالم ومهمّته وقضيّته، فإذا ابتعد عنها كان مثل الشمعة بلا نور ولا نار.

ومثل ذلك ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «**علماء شيعتنا مرابطون بالثغر الّذي يلي إبليس وعفاريته يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا**»[4].

---

(1) الطبرسّي، الشيخ أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، مصدر سابق، ج 1، ص 7.
(2) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 2، ص 3.
(3) المصدر نفسه، ج 2، ص 5.
(4) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج2، ص5.

ومعنى ذلك أنّ المرابطة في الثغور والمواضع الثقافيّة والعقائديّة، ثمّ منع الناس عن الضلال والوقوع في شباك الانحراف، هي مهمّة العالِم، ومنشأ فضله وكرامته وثوابه.

وهكذا النصّ الشريف الوارد عن الإمام الكاظم عليه السلام، حيث يقول فيه عن فضل الفقيه على العابد: «**العابد همّه ذات نفسه فقط، وهذا (أي الفقيه) همّه مع ذات نفسه ذات عباد الله وإمائه لينقذهم من يد إبليس ومردته، فذلك هو أفضل عند الله من ألف ألف عابد وألف ألف عابدة**»[1].

فإنَّ هذا النصّ واضح في أنّ أفضليّة العالِم على العابد ناشئة من حركته في هداية الناس ونفعهم وتبليغهم أمور دينهم، أمّا إذا عكف على ذات نفسه وصار همّه علمه فقط فلن يُفَضّل العابد.

وقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: «**ألا إنّ الفقيه من أفاض على الناس خيره، وأنقذهم من أعدائهم، ووفّر عليهم نعم جنان الله، وحصّل لهم رضوان الله تعالى**»[2].

فقد حصر الإمام عليه السلام الفقيه بالعالِم النافع للناس بعلمه الساعي في إنقاذهم من الضلال.

كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام، قوله: «**إذا كان يوم القيامة بعث الله عزّ وجلّ العالِم والعابد فإذا وقفا بين يدي الله عزّ وجلّ قيل للعابد: انطلق إلى الجنّة، وقيل للعالِم: قف اشفع للناس بحسن تأديبك لهم**»[3].

إنّ هذه الفقرة الأخيرة توكّد أنّ فضل العالِم وثوابه منوط بحركته التبليغيّة وسعيه في هداية الناس وتأديبهم ومشروط بذلك.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وقد ورد الحثّ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- وهو نوع من التبليغ - في الكتاب والسنّة، قال تعالى: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ ٱلۡحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ

(1) المصدر نفسه، ج 2، ص 6.
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه، ج 2، ص 16.

ٱلْآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2].

وروي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**ألا وإنّي أُجدّد القول: ألا فأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر. ألا وإنّ رأس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تنتهوا إلى قولي، وتُبلّغوه من لم يحضر، وتأمروه بقبوله، وتنهوه عن مخالفته، فإنّه أمرٌ من الله عزّ وجل ومنّي**»[3].

وروي عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «**لمّا وجّهني رسول الله ﷺ إلى اليمن قال: يا عليّ، لا تُقاتل أحداً حتّى تدعوه إلى الإسلام؛ وأيمُ الله، لَأنْ يهدي الله على يديك رجلاً خيرٌ لك ممّا طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤُه يا عليّ**»[4].

وقد بيّن الفقهاء أنّ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسمى الفرائض وأشرفها، وبها تُقام الفرائض، ووجوبها من ضروريّات الدِّين، ومنكرها مع الالتفات يعدُّ كافراً[5].

واتفقوا على أنّ الأمر والنهي واجبان إجماعاً على نحو الوجوب الكفائيّ، فإذا تصدّى للأمر أو النهي من به الكفاية لإنجاز المهمّة وتحقيق الواجب سقط التكليف عن الباقين، غير أنّ وجوبه مستمرّ في عموم حالات المنكر ما دام المنكر موجوداً والمعروف متروكاً.

أ. معنى المعروف والمنكر: المراد بالمعروف كلّ فعل حسن أوجبَتْه الشريعة المقدّسة أو ندبت إليه، فإن كان واجباً كان الأمر به واجباً، وإن كان مستحبّاً كان الأمر به مستحبّاً. والمراد بالمنكر كلّ فعل كرهته الشريعة فحرّمت فعله أو حثّت على التنزّه

(1) سورة التوبة، الآية 112.
(2) سورة آل عمران، الآية 104.
(3) الشيخ الطبرسي، الاحتجاج، مصدر سابق، ج 1، ص 157.
(4) الكلينيّ، الشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، تحقيق وتصحيح علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران، 1363ش، ط5، ج 5، ص 36.
(5) انظر: السيد الخميني، تحرير الوسيلة، دار الكتب العلمية، العراق - النجف، 1390ه.ق، ط2، ج 1، ص 462.

عنه وتركه، فإن كان المنكر حراماً كان النهي عنه واجباً، وإن كان مكروهاً كان النهي عنه مستحبّاً وراجحاً.

والمراد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو قيام المكلَّف بواجب التصدّي لتارك المعروف أو لفاعل المنكر، لحثّه على فعل المعروف وترك المنكر، بواحد من الأساليب الّتي وضعتها الشريعة لذلك، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1]. والظاهر أنّ الخطاب للمسلمين. والمراد بالناس جميع الناس من المسلمين وغيرهم، فيكون المراد - والله العالم - أنّ المسلمين بما هم مسلمون خير أمّة خُلقت وأُخرجت لنفع المجتمعات البشريّة، وملاك الخير لهم بسطهم للمعروف وردعهم عن المنكرات وإصلاح المجتمعات[2].

فيجب الأمر والنهي على كلّ من تتوفّر فيه الشرائط من العلماء وغيرهم من الرجال والنساء حتّى الفسّاق، قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3].

ب. فلسفة تشريعهما: واعتُبر الأمرُ والنهي طريقاً إلى حفظ النظام، وأماناً من الفرقة والنزاع، فروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «**لا تزال أمّتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البرّ، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزعت منهم البركات، وسُلِّط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء**»[4].

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إذا أمّتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله**»[5].

وعندما نتأمّل في معنى المعروف والمنكر وكيفيّتهما نجد أنّ فلسفة تشريعهما تدور

(1) سورة آل عمران، الآية 110.

(2) المنتظري، الشيخ حسين علي، ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلاميّة، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1988م، ط2، ج2، ص226.

(3) سورة آل عمران، الآية 104.

(4) الحرّ العاملّي، الشيخ محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، إيران - قم، 1414ه، ط2، ج16، ص123، باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحريم تركهما.

(5) الحر العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج16، ص 118.

بين الحرص على هداية البشر إلى طاعة الله تعالى، ودعوتهم إلى الخير؛ واحترام أفراد المجتمع وحفظ حقوقه، وردع الناس عن ارتكاب المخالفات والتعدّي على الآخرين ماديّاً أو معنويّاً.

ولأنّ الأمر بالمعروف فريضة إصلاحيّة تهدف إلى التربية والإصلاح فالأصل أن يكون الأمر والنهي برفق ولين وهدوء، وينبغي عدم الإفراط في الأمر والنهي ما يستلزم الإثقال على المأمور وتزهيده في الدِّين وتنفيره منه وانقلاب الأمر إلى ضدّه. فقد روي عن النبيّ ﷺ قوله لعلي عليه السلام: «**يا عليّ إنّ هذا الدِّين متين فأوغل فيه برفق**»[1].

وقال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[2].

و﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[3].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**يا عمر لا تحملوا على شيعتنا وارفقوا بهم فإنّ الناس لا يحتملون ما تحتملون**»[4]. وعن الإمام الرضا عليه السلام «**لا تبذل لإخوانك من نفسك ما ضرّه عليك أكثر من نفعه لهم**»[5].

وهذا لا يعني عدم إمكانيّة الانتقال إلى مراتب أخرى، تُستعمل فيها الشدّة والقسوة لاقتلاع المنكر، وفق شروط وضوابط فُصّلت في الكتب الفقهيّة.

ت. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نظام لتبليغ الدِّين: يمكن للمتأمّل في ما ورد حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الكتاب والسنّة، أن يدرك بسهولة أنّهما نظام لجهة مكلّفة بتبليغ الدِّين الإسلاميّ وتطبيق أحكامه، وحفظ مقدّساته، وتعزيز الإيمان بالله، واحترام القيم والمقدّسات الدِّينيّة، وحماية المجتمع الإسلاميّ من الانحرافات الأخلاقيّة، والاجتماعيّة، ومنع ثقافة الابتذال والخواء واللغو.

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص 87.
(2) سورة النحل، الآية 125.
(3) سورة طه، الآيتان 43 - 44.
(4) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص156، باب تأديب النساء.
(5) المصدر نفسه، ج4، ص23، باب في آداب المعروف.

ولهذا فإنّ الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمل إنسانيّ يهدف إلى إصلاح الآخرين، فلا عجب أن يختلف باختلاف الأشخاص وأنواع الانحراف فيمكن للمكلّف مع توّفر الشرائط، مهما كان موقعه في المجتمع، أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويواجه العصاة والمنحرفين والمتمرّدين، بأساليب ثلاثة على نحو الترتيب ابتداءً من القيام بعمل يظهر منه الانزجار القلبيّ عن المنكر، إلى الأمر والنهي باللسان، وصولاً إلى الإنكار باليد، بمعنى إعمال القدرة مراعياً للأيسر فالأيسر، وفق شروط وتراتبية خاصّة في كلّ مرتبة[1]، بمعنى أنّه لا يجوز التعدّي عن مرتبة إلى الأخرى مع إمكانيّة حصول المطلوب من المرتبة الدانية، عن الإمام الباقر عليه السلام: «**فأنكروا بقلوبكم والفظوا بألسنتكم وصكّوا بها جباههم ولا تخافوا في الله لومة لائم**»[2].

الموقع القياديّ للمبلِّغ

المبلِّغ في الثقافة الإسلاميّة يُمارس عمليّة التبليغ والتعليم من موقع المسؤول عن المجتمع البشريّ في كلّ جوانبه الثقافيّة، والسياسيّة، الفرديّة والاجتماعيّة، فهو في موقع الإمامة والقيادة كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[3].

وهكذا نجد أنّ الشريعة الإسلاميّة تنتظر من المبلِّغ الدينيّ أن يُمارس التكاليف الّتي يفرضها موقع الإمامة والقيادة، ومن هنا كان القرآن الكريم يُشدِّد النكير على علماء أهل الكتاب حين قال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾[4].

وانطلاقاً من هذا الفهم أيضاً أكَّد القرآن الكريم على ضرورة اتّباع العلماء والطاعة لهم. قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي﴾[5].

(1) انظر: الإمام الخمينيّ، تحرير الوسيلة، مصدر سابق، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
(2) الشيخ الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج16، ص131، باب وجوب الأمر والنهي بالقلب.
(3) سورة الأنبياء، الآية 73.
(4) سورة المائدة، الآية 63.
(5) سورة يونس، الآية 35.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

وإذا كان مقام النبوّة في الثقافة الإسلاميّة هو مقام الإمامة والقيادة، على العكس تماماً من منطق الكنيسة القائل «**ما لله لله وما لقيصر لقيصر**»، فالمبلِّغ الدِّينيّ في الثقافة الإسلاميّة يجب أن يُمارس ذات المهامّ الّتي يُمارسها الأنبياء عليهم السلام باعتبار أنّه وريثهم وخليفتهم.

فقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**رحم الله خلفائي**»، فقيل: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: «**الذين يُحيون سنّتي ويُعلّمونها عباد الله**»[2].

(1) سورة التوبة، الآية 122.

(2) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج2، ص 25.

المفاهيم الرئيسة

1. التبليغ لغةً يعني الإيصال، واصطلاحاً يعني إيصال تعاليم الإسلام إلى الناس.
2. لقد استخدم القرآن مصطلحات مختلفة تصبّ في معنى التبليغ مثل: الدعوة والإرشاد والتبشير.
3. لقد استفاضت الآيات والروايات في أهميّة التبليغ والمبلِّغين وفضله.
4. ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله في فضل التبليغ: «رحم الله خلفائي، فقيل: يا رسول الله، من خلفاؤك؟ قال ﷺ: الذين يحيون سنّتي ويعلّمونها عباد الله».
5. إنّ فضل العلم والعلماء مشروط بالتبليغ.
6. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسمى الفرائض. والأصل أن يكون الأمر والنهي برفق ولين، وينبغي الحكمة في اختيار الأسلوب الأمثل فيهما.
7. المبلِّغ في الثقافة الإسلاميّة يُمارس عمليّة التبليغ والتعليم من موقع المسؤول عن المجتمع البشريّ في كلّ جوانبه الثقافيّة، والسياسيّة، الفرديّة والاجتماعيّة...

الدرس الثاني:

حكم التبليغ وأهدافه

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يعرف موضوع التبليغ.

2 . يبيّن حكم التبليغ في الشريعة الإسلاميّة.

3 . يعدد أهداف التبليغ في الإسلام.

مقدّمة

يستند الكلام في حكم التبليغ إلى مجموعة من الأدلّة المستفادة من الكتاب والسنّة، والسيرة، بل ادّعي التسالم والإجماع على وجوب التبليغ، على أساس أنّ التبليغ في الأصل من وظائف الأنبياء والرسل وأوصيائهم عليهم السلام، وعلى هذا تواترت كلمة علماء المسلمين, فقد ذكروا: «**ثمّ إنّه لا إشكال ولا خلاف عندنا يعني معاشر الإماميّة، بل عند المسلمين عامّة، في وجوب تبليغ الدِّين الحنيف، أعني دين الإسلام، وجوباً عينيّاً أو كفائيّاً على كلّ مكلّف عالم به قادر على إبلاغه متمكّن من إعلامه وإيصاله إلى الناس، أي إلى كلّ مكلّف جاهل بأصوله أو فروعه، قاصر أو مقصّر، مؤمن بدين غير الإسلام كأهل الكتاب، أو غير مؤمن بدين كالزنادقة المنكرين للمبدأ والمعاد ومن أشبههم**»[1].

دائرة التبليغ

من المهمّ قبل الاستدلال على حكم التبليغ، أن نحدّد سعة الدائرة التي يتوجّه التبليغ إليها، وهي أنّ المجتمع الإنسانيّ كلّه موضوع في دائرة التبليغ؛ ذلك أنّ الرسالة الإسلاميّة عامّة لجميع العباد، وسوف لا تنقطع المهمّة التبليغيّة ولا تنتهي ما دام هناك أرض وشعب في العالَم لم يصله صوت الرسالة الإلهيّة. ومن هنا نُدرك سعة الدائرة الّتي يجب استيعابها في العمل التبليغيّ، وفي ضوئها يجب وضع الحساب فيما إذا كان الوجوب الكفائيّ قد أُنجز كاملاً حتّى يسقط عن الباقين أم لا. ومن المؤسف أن نجد من يتعامل بأفق ضيّق مع هذه المسؤوليّة الكبرى، حينما يُفكِّر بأنّها ساقطة عنه لمجرّد تصدّي آخرين

(1) المشكيني، الشيخ علي، مصطلحات الفقه، مؤسّسة الهادي، إيران - قم، لا.ت، لا.ط، ص 124.

لها، في الوقت الّذي لا يستطيع فيه المتصدّون أن يملأوا كلّ الفراغات ويستوعبوا كلّ الساحات. فإنَّ مسؤوليّة التبليغ والدعوة إلى الإسلام وبيان الشريعة ليست خاصّة بالأهل أو العشيرة أو أبناء الوطن، ولا هي خاصّة بالأمّة الإسلاميّة، بل هي واسعة سعة الرسالة الإلهيّة، وممتدّة بامتداد النبوّة المحمّديّة.

حكم التبليغ

من المفروغ منه شرعاً أنّ التبليغ الإسلاميّ واجب وجوباً مؤكّداً، ولا اختلاف في أنّه يجب كفاية على من توفّر فيه شرطا الواجب الكفائيّ، وهما: الكفاءة والكفاية. وتختلف الكفاية الّتي تعني تغطية حاجة المسلمين له باختلاف الظروف، فقد يُكتفى في ظرف ما بالعدد القليل، وقد لا يُكتفى إلّا بالعدد الكثير. وكذلك لا خلاف في وجوبه عيناً على من انحصر أمر التبليغ به.

ولا خلاف في أنّه واجب عيناً على من أُنيطت مسؤوليّته به كالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، قال الله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰۚ قُل لَّآ أَشْهَدُۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[1]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2]، وكالأئمّة عليهم السلام من بعده، فعن الإمام الرضا عليه السلام: «**الإمام أمين الله في خلقه، وحجّته على عباده، وخليفته في بلاده، الداعي إلى الله، والذابّ عن حرم الله، الإمام يُحلّل حلال الله، ويُحرِّم حرام الله، ويُقيم حدود الله، ويذبّ عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجّة البالغة...**»[3].

والواجب، هنا، شيء بديهيّ، ذلك أنّ الإسلام مبدأ إلهيّ شرّعه الله تعالى ليُحقّق السعادة للإنسان المسلم في الدنيا، والفوز في الآخرة، وهكذا مبدأ يُحتّم على أصحابه القيام بتبليغه وتعليمه للناس وإقناعهم بالالتزام العملي به[4].

(1) سورة الأنعام، الآية 19.
(2) سورة المائدة، الآية 67.
(3) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 25، ص 123.
(4) الفضلي، الشيخ عبد الهادي، التبليغ الدِّينيّ على ضوء الكتاب والسنة، دار الولاء، لبنان _ بيروت، 2007م، ط1، ص24، بتصّرف.

الاستدلال على وجوب التبليغ

هناك مجموعة من الأدلّة يمكن الاستدلال بها على وجوب التبليغ، نذكر أهمّها:

آية النفر: قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

حيث دلّت على وجوب تعلّم الأحكام لغاية الإنذار والإرشاد بالنسبة إلى القوم الذين لا يعلمون، فيجب إرشاد الجاهل على العالِم بحكم الآية الكريمة. ومن المعلوم أنّ الآية تكون في مقام بيان غائيّة العمل، أي الإنذار غايةً للتفقّه فتفيد وجوب الإرشاد قطعاً كما قال السيّد الخوئيّ رحمه الله: «**أمّا الأحكام الكلّيّة الإلهيّة فلا ريب في وجوب إعلام الجاهل بها؛ لوجوب تبليغ الأحكام الشرعية على الناس جيلاً بعد جيل إلى يوم القيامة، وقد دلّت عليه آية النفر، والروايات الواردة في بذل العلم وتعليمه وتعلّمه**»[2].

ومعنى الآية أنّه لا يجب على المؤمنين أن يخرجوا إلى الجهاد جميعاً، بل يكفي خروج فرقة أو مجموعة من المؤمنين من كل منطقة أو بلد ليتفقّهوا الدين ويتعلّموه، بهدف أن ينذروا أهلهم وأقوامهم ويعلّموهم عندما يرجعون إليهم، لعلّ أقوامهم يهتدون ويتقون.

والمراد بالتفقُّه في الآية تفهّم جميع المعارف الدِّينيّة من أصول وفروع، لا الأحكام العمليّة خاصّة، وهو الفقه المصطلح عليه عند المتشرّعة، والدليل عليه قوله ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ...﴾ فإنّ ذلك أمر إنّما يتمّ بالتفقّه في جميع الدِّين وهو ظاهر[3]. فالآية دليل واضح على وجوب تعلّم وتعليم المعارف والأحكام الإسلاميّة وجوباً كفائيّاً على الدوام، فهي أوجبت التعليم والتعلّم معاً، وهذا لا يختلف عن عمليّة التبليغ الّتي تتقوّم بالتعليم والتوجيه والإرشاد، الّذي يستند إلى التعلّم بشكل رئيس.

---

(1) سورة التوبة، الآية 122.

(2) الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي، مصباح الفقاهة، مكتبة الداوري، إيران - قم، لا.ت، ط1، ج 1، ص 201.

(3) الطباطبائي، العلامة السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1417ه، ط5، ج 9، ص 404، تفسير آية 122 من سورة التوبة.

وبالنتيجة يُمكن القول إنّ مقتضى قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ...﴾ وجوب التبليغ.

كما جاءت في هذا المضمون أحاديث شريفة كثيرة، نذكر منها. ما روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**ما أخذ الله ميثاقاً من أهل الجهل بطلب تبيان العلم حتّى أخذ ميثاقاً من أهل العلم ببيان العلم للجهّال، لأنَّ العلم قبل الجهل**»[1].

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله: ما هو حقّ العلم؟ قال: الإنصات له. قال: ثمّ مه؟ قال: الاستماع له، قال: ثمّ مه؟ قال: الحفظ له، قال: ثمّ مه؟ قال: ثمّ العمل به، قال: ثمّ مه؟ قال: ثمّ نشره**»[2].

أهداف التبليغ

إنّ كلّ تبليغٍ يتضمّن أهدافاً مشخَّصة ومحدّدة يسعى المبلِّغ إلى تحقيق تلك الأهداف من الناحية العمليّة. وكلَّما كانت هذه الأهداف قيّمة وهامّة فإنّ منزلة التبليغ بها وتبعاً لها سوف تكون راقية وهامّة أيضاً.

وحيث إنّ أهداف الدِّين الإسلاميّ ذات عمقٍ هامٍّ وذات رسالة عالميّة شاملة احتلّت قضيّة التبليغ في منظومته مكانة عالية وامتاز بقيمة كبيرة.

وفي هذا المجال يقول سماحة الإمام الخامنئيّ دام ظله: «**إذا صحّ القول بأنّ شرف كلّ فردٍ يرتبط بشرف أهدافه وغاياته فلا بدّ حينئذٍ من القول بأنّ أشرفها وأكملها هو تبليغ الدِّين لأنّ الهدف من تبليغه هو تزكية الناس ورقيّ أفكارهم. وهذا في حدّ ذاته من أهمّ الأهداف**»[3].

والأهداف الهامّة للتبليغ في الإسلام عبارة عن:

أ. الدعوة إلى التوحيد، وعبادة الله واجتناب الطاغوت: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[4].

---

(1) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج2، ص 67.

(2) المصدر نفسه، ص 28.

(3) فرهنك وتهاجم فرهنكى الثقافة والغزو الثقافي، ص282 مع قليلٍ من التلخيص.

(4) سورة النحل، الآية 36.

ب.التذكير بالمعاد: قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[1].

ت.إحياء القلوب والأرواح: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[2].

ث.التبشير والإنذار: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[3].

ومن جملة الأهداف الهامّة لتبليغ الدِّين أيضاً: التعليم والتزكية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إيقاظ وإثارة الفطرة والعقل، تذكير الإنسان بمقامه ومنزلته في عالم الوجود وترغيبه في الاستفادة من هذه المنازل للوصول إلى الغاية من خلقه. قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ...﴾[4]، و﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾[5].

وفي هذا المجال يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله:

«الوظيفة الأساس هي هداية الناس إلى الأهداف الّتي رسمها القرآن الكريم وكلّ الأنبياء طَوال تاريخ النبوّة. لقد وضعنا على عاتقنا مسؤوليّة حفظ الميراث العظيم الّذي حمله علماء الدِّين منذ أكثر من ألف سنة، والاستمرار في هداية الناس، ولذا يجب بذل الهمّة في تقليب القلوب وتنوير الأذهان وتصحيح المسار عند الناس وإرشادهم إلى خالص الأعمال وإيجاد التحوُّل فيهم لإيجاد مؤمنٍ واقعيّ يتحلّى بالأخلاق الإسلاميّة الأصيلة»[6].

(1) سورة المؤمنون، الآية 115.
(2) سورة الأنفال، الآية 24.
(3) سورة الأحزاب، الآيتان 45-46.
(4) سورة الجمعة، الآية 2.
(5) سورة آل عمران، الآية 104.
(6) فرهنك وتهاجم فرهنكي (الثقافة والغزو الثقافيّ)، ص284، مع قليلٍ من التلخيص.

المفاهيم الرئيسة

1. التبليغ مسؤوليّة عامّة ولها حكمها الشرعيّ المستفاد من الكتاب والسنّة الشريفة.
2. المجتمع الإنسانيّ كلّه موضوع في دائرة التبليغ.
3. حكم التبليغ أنه واجب عينيّ أو كفائيّ بحسب المورد والحاجة.
4. يوجد مجموعة من الأدلّة يستدلّ بها على وجوب التبليغ، منها: آية النفر، وآية ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[1].
5. يوجد عدّة روايات شريفة يستدلّ بها على رجحان وجوب التبليغ..
6. من أهداف التبليغ: الدعوة إلى التوحيد، التذكير بالمعاد، إحياء القلوب والأرواح، التبشير والإنذار.

(1) سورة السجدة، الآية 24.

الدرس الثالث:

خصائص المبلّغ

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى قداسة وظيفة المبلّغ.

2 . يعدّد الخصائص التي يجب أن يتحلّى بها المبلغ.

3 . يبيّن أهمية الإيمان بما يدعو إليه، والعمل به

تمهيد

المبلِّغ هو الركن المهمّ في عمليّة التبليغ، وهو الّذي يُدير دفّة العمليّة التبليغيّة ويُحدِّد المكان والزمان والظرف المناسب لها، كما أنّه هو الّذي يختار الوسيلة والأسلوب الأكثر ملاءمة من غيره. وبقدر ما تكون اختياراته أدقّ يكون التبليغ أكثر وقعاً وأثبت في نفوس المخاطَبين.

قداسة وظيفة المبلّغ

إنّ وظيفة المبلِّغ الدِّينيّ هي هداية الناس نحو مقام القرب الإلهيّ، ولذا فإنّ منزلته ومقامه يجب أن يتناسبا مع الوظيفة الهامّة، وبالتالي فإنّ له منزلة هامّة وعظيمة. وقد ورد عن الأئمّة الطاهرين عليهم السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[1] روايات متعدّدة تُشير إلى أنّ الإحياء بمعنى الإحياء المعنويّ والروحيّ والفكريّ، وهو أهمّ بمراتب من الإحياء الظاهريّ والجسميّ باعتقادهم[2].

وإنّ إحياء هذه القلوب الميّتة يقع على عهدة مبلِّغي الدِّين. وها هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما أرسل أمير المؤمنين عليه السلام إلى اليمن من أجل هداية الناس ودعوتهم إلى الإسلام، قال له: «**وأيم الله لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك ممّا طلعت عليه الشمس وغربت...**»[3].

ومن ثمّ فإنّ المبلِّغ الدِّينيّ إذا كان نفسه من أهل الإيمان والعمل الصالح فإنّ كلامه أفضل الكلام وأحسنه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[4].

---

(1) سورة المائدة، الآية 32.

(2) الشيخ الحويزي، تفسير نور الثقلين، تصحيح وتعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسّسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، إيران - قم، 1412ه - 1370 ش، ط4، ج2، ص226-228.

(3) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج21، ص361.

(4) سورة فصلت، الآية 33.

وإذا أردت أن تأخذ على عاتقك مسؤوليّة «**تبليغ الدِّين**» وحمل رسالته الهامّة لا بدّ لك من البدء بتعليم نفسك أوّلاً، وقبل أن تقوم بتوجيه الآخرين ينبغي أن تلتزم قبلهم بالقيم والفضائل. وكما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**من نصّب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبُه بسيرته قبل تأديبه بلسانه. ومُعلِّم نفسِه ومؤدِّبها أحقّ بالإجلال من مُعلِّم الناس ومؤدّبهم**»[1].

خصائص شخصيّة المبلِّغ

للمبلِّغ مواصفات عامّة يجب أن يتحلّى بها، وأخرى خاصّة تفرضها طبيعة الفكر أو المبدأ الّذي يعمل المبلِّغ في الدعوة لـه. كما أنّ هذه المواصفات تتفاوت في قيمتها وأولويّتها من فكرٍ لآخر ومن موقعٍ لآخر، فتجد مثلاً أنّ الصدق مطلوب في مجمل النظريّات والمناهج التبليغيّة والإعلاميّة، إلّا أنّ التركيز في هذه السمة وتأكيدها يتفاوت من منهج لآخر حسب طبيعة أهداف وتوجّهات الجماعة الّتي ينتمي إليها المبلِّغ عقائديّاً أو فكريّاً.

وفيما يلي عرض مختصر لأهمّ الخصائص المطلوبة في المبلِّغ:

1. الوعي ومعرفة الهدف:

ينبغي للمبلِّغ أن يكون واعياً مدركاً للهدف المرتجى من التبليغ، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

2. معرفة المضمون والفكر:

ينبغي للمبلِّغ أن يكون محيطاً وملمّاً بالمعارف الإسلاميّة كي يخطو في سبيلها بوعي ومسؤوليّة، كما يؤكّد الإمام عليّ عليه السلام على أن نتكلّم عن علمٍ ووعي, إذ لا خير في حديثٍ يشوبه الجهل، فيقول عليه السلام: «**لا تقل ما لا تعلم فتُتّهم في إخبارك بما تعلم**»[3]. ولهذا

(1) الرضي، السيد أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي، نهج البلاغة (خطب الإمام علي عليه السلام)، تحقيق وتصحيح صبحي الصالح، لا.ن، لبنان - بيروت، 1387ه - 1967م، ط1، ص 480، الحكمة 73.

(2) سورة يوسف، الآية 108.

(3) الليثي الواسطي، الشيخ كافي الدين أبو الحسن علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث، إيران - قم، 1418ه، ط1، ص 530.

يفترض في كلٍّ مبلِّغ أن يكون ملمّاً وذا اطّلاعٍ وافٍ على مضامين المعارف والأفكار وتفاصيل الفكرة الّتي يدعو لها.

وضرورة التحلّي بهذه الخصلة من الوضوح بحيث لا تحتاج برهنته عليه, ذلك أنّ الّذي يجهل حقيقة المبدأ الّذي يدعو إليه وتفاصيله المرتبطة به، من المؤكّد أنّه سيقع في مطبّات وسيواجه مشاكل عديدة نذكر منها:

أ. إيقاع المتلقّي في متاهات مظلمة وربّما يُبعده عن الفكرة الّتي يدعو لها، فيذهب ذلك الإنسان ضحيّة لجهل المبلِّغ.

ب. تعريض المبدأ الّذي يدعو له إلى انتقادات لاذعة قد تجعله مثاراً للسخريّة, لأنَّ هناك متربّصين بهذا المبدأ، يبذلون ما بوسعهم لأجل اقتناص الثغرات والهفوات الواردة في خطاب المبلِّغ واستثمار ذلك في التشنيع، لا على صاحب الفكرة فحسب بل على الفكرة ذاتها، وذلك عن طريق افتعال مقارنة بين الفكرة وبين مضمون الدعوة الّتي يدعو إليها، والإيحاء أوّلاً بأنّ الفكرة لا تملك أكثر ممّا يقوله هذا المبلِّغ الضعيف. وثانياً وهو الأهمّ، أنّ الفكرة الّتي يؤمن بها أمثال هذا الشخص يجب أن تكون بمستواهم، لأنّ المرء يميل إلى ما يُناسبه، وهذا هو جوهر الإشكال الّذي يُطرح على أنبياء الله عليهم السلام من قبل الطغاة حيث يتّهمون الرسالة بأنّها لم يتّبعها سوى السفهاء، وهذا يكشف - بزعمهم - أنّ الفكرة ذاتها سفيهة لا تحمل مضموناً جديراً بالإيمان به. وعليه فإنّه ينبغي للمبلِّغ من أن يتمتّع بخصلتين علميّتين أساسيّتين:

الأولى: مطالعة وإلمام بأكبر حجم ممكن من المعلومات المرتبطة بالفكرة الّتي يدعو لها. وذلك يستدعي منه أن يصرف جهداً مضاعفاً في البحث والدراسة، خاصّةً فيما يتعلّق بالقواعد الكليّة والخطوط العريضة لفكرته, لكي يتسنّى له عن طريق التوليف بين هذه القواعد والخطوط العامّة، استخلاص أجوبة جاهزة مقنعة للإشكالات والأسئلة غير المتوقّعة والّتي تُحتّمها ظروف العمل التبليغيّ ومستوى الجماعة المتلقّية. ومع عدم وعي هذه الأمور وعدم التمييز بين ما هو أساسيّ وما هو فرعيّ منها، قد يتحوّل المبلِّغ إلى آلة

صمّاء جامدة تتعطّل بمجرّد خروج الحوار عن الجادّة المرسومة سلفاً، وهو ما يقع كثيراً في ظلّ حوارٍ مفتوح بين إنسانَين لا يُمكن ضبطه في إطار محدّد.

الثانية: الّتي يجب أن يتّصف بها المبلِّغ على صعيد رصيده المعلوماتيّ، هي القدرة الذاتيّة على استخلاص الفروع من الأصول، إذ قد يكون ثمّة رجل يحفظ كثيراً من القواعد والخطوط العريضة المرتبطة بفكرةٍ ما، لكنّه عاجز عن التوفيق بينها والجمع بين قاعدتين أو ثلاث لاستخراج معلومة ثالثة أو رابعة تخدم عمليّة الحوار الّذي يُديره المبلِّغ، وإذ يعجز عن ذلك تتحوّل معلوماته ومخزونه الفكريّ إلى بضاعة كاسدة لا تُغني ولا تُسمن من جوع.

لقد كان ابن عبّاس محاوراً ناجحاً, لأنّ له - إضافةً إلى إحاطته بالقواعد الكليّة للدِّين - مقدرة خاصّة تُمكّنه من أن يترجم مخزونه العلميّ إلى قضايا ساخنة وأجوبة كاملة وقت الطلب تُقنع الخصم أو تُفحمه. ولهذا أصرّ أمير المؤمنين عليه السلام على أن يكون ابن عبّاس ممثّل أهل العراق في التحكيم بدل أبي موسى الأشعريّ الّذي كان يحمل أسفاراً لا يفقه معناها.

3. الإيمان بما يدعو إليه:

هذه حقيقة أكّدتها التجربة العمليّة بما لا مزيد عليه. والإيمان بالفكرة أمر آخر غير العمل بها. إذ - مبدئيّاً - قد يكون المرء مؤمناً بصحّة فكرةٍ ما، وهو غير مستعدّ في الوقت ذاته للالتزام بها عمليّاً وبكلّ ما تأمر به من تكاليف ووظائف اجتماعيّة أو دينيّة أو قانونيّة.

ولا شكّ في أنّ الإيمان بهذا القدر عنصر مهمّ في تصحيح عمليّة التبليغ وإخراجها من كونها نفاقاً أو ارتزاقاً. وهو بهذا المعنى شرط يكاد يُتّفق عليه بين المذاهب الإعلاميّة الّتي تستند إلى ركيزة عقائديّة. ولا يخرج عن دائرة هذا الاتّفاق إلّا الإعلام الدعائي التجاريّ الّذي يُجوّز كلّ شيء من أجل الربح، وكذا كلّ إعلام مغرض يتّخذ من التبليغ غطاءً لتمرير أغراضٍ لا تمتّ بصلةٍ إلى مادّة الخطاب والفكرة الّتي يُبلِّغ لها.

والإيمان بالفكرة بهذا المعنى يُعتبر ضرورياً إذا ما قورن بالعمل بها، حيث إنّ العمل بالفكرة لا يُعدّ شرطاً واجباً - لا قانوناً ولا شرعاً - لتبليغها إذا كانت صحيحة. أمّا النصوص الواردة في النهي عن الأمر بشيء مع ترك العمل به، مثل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[1] فيجب أن تُفهم في مستوى أنّها تدعو دعوة ضمنيّة لضرورة أن يكون الداعي إلى شيء ممتثلاً لـه، باعتبار أنّ أولى الناس بالخير هو الداعي لـه نفسه، والفكرة أجدر بأن تُتقبّل من الآخرين بسبب الاتّحاد بين الداعي والدعوة في هذا الفرض.

4. العمل بما يدعو إليه:

إنّ العمل بالفكرة شرط ضروريّ لمدى فاعليّة الدعوة، لا لأصل جوازها كما أسلفنا، ومن المتعارف أنّ العقلاء ينتقدون الداعي إلى شيء إذا لم يكن عاملاً به: لا تنه عن خلق وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

كما أنّ من المعروف أنّ المتلقّي لا يتفاعل مع الفكرة إذا انطلقت من مصدرٍ لا يعمل بمفادها، والأسباب كثيرة نذكر منها نقطتين:

الأولى: إنّ عدم العمل بالفكرة المبلَّغ بها يعني لدى المتلقّي أنّها زهيدة ولا تعود على صاحبها بالنفع، وإلّا لكان الأجدر بصاحبها أن يعمل بها.

الثانية: إنّ عدم العمل بالفكرة في حال الدعوة إليها يصنع انطباعاً بأنّ الداعية شخصيّة غير متّزنة وربّما منافقة ولا يُمكن الاعتماد عليه والوثوق بسلامة ما يدعو إليه, الأمر الّذي يُفضي بالنتيجة إلى التشكيك بصحّة الفكرة تبعاً للتشكيك بمصداقيّة حاملها.

والإسلام موقفه واضح من هذه المسألة فهو وإن كان لا يُسقط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وهو أبرز مصاديق الدعوة والتبليغ - عن المكلّف، وإن لم يكن عاملاً بما يأمر به وينهى عنه، بيد أنّه في الوقت ذاته يُدين ذلك الإنسان من منطلق كونه عبداً مملوكاً لربّه ومطالباً هو الآخر بالتزام أوامره واجتناب نواهيه.

5. الحزم:

على المبلِّغ أن يكون حازماً في مواجهة الانحراف والمنكر والفساد وأن لا يخشى أحداً سوى الله تعالى، ويجب عليه أن يُحارب البدع من دون أيّ خوف أو وجل قال تعالى:

(1) سورة الصف، الآيتان 2-3.

﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[1]، وقال رسول الله ﷺ: «**إذا ظهرت البدع في أمّتي فعلى العالِم أن يُظهر علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله**»[2].

ولهذا نرى رسول الله ﷺ حين أرادت منه قريش أن يتخلّى عن الإسلام وعن نشر دعوته يقول: «**والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتّى يُظهره الله أو أهلك فيه ما تركته**»[3].

كذلك يجب على المبلّغ أن يكون رحب الصدر ليّن العريكة لا يغضب لأتفه الأسباب، صبوراً متحمّلاً، ويتقبّل الانتقادات الّتي توجّه إليه برحابة صدر، فيُصحّح خطأه إن كان على خطأ أو يُبيّن عمله إن فُهم خطأ بشكل واضح وصريح. فالمسلم يرى الانتقادات البنّاءة الّتي توجَّه إليه وكأنّها هدايا تُقدّم إليه, فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «**أحبّ إخواني إليّ من أهدى إليّ عيوبي**»[4].

6. قوّة الاستدلال:

إنّ البحث والاستدلال من الأعمال الهامّة لدى المبلّغين خصوصاً في هذا العصر الّذي نما فيه حبّ السؤال والاستطلاع. فالجميع يرغبون في أن يعلموا عن كلّ موضوع بشكل مبرهن ومقنع. والقرآن الكريم دعا إلى البحث وإقامة الدليل بقوله: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[5].

ولهذا فإنّ على المبلّغ أن يكون بارعاً في فنّ الاستدلال لكي يدعو الناس إلى الإسلام بأسلوب عقليّ رصين وبرؤية صحيحة، كما أنّه من اللازم أن يكون ذا مهارة في الجدال والمناظرة للإجابة عن إشكالات المخالفين الذين يتربّصون الدوائر ويتحيّنون الفرص لإيقاع المبلّغ بمطبّات يُثبتون فيها للناس ضعفه وعجزه.

(1) سورة النحل، الآية 125.
(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص 54.
(3) الشيخ الأميني، الغدير، دار الكتاب العربي، لبنان - بيروت، 1397ه - 1977م، ط4، ج 7، ص 359.
(4) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج74، ص 282.
(5) سورة النحل، الآية 125.

7. اغتنام الفرص:

اغتنام الفرص من صفات المبلِّغ الحسنة والتي تدلّ على حضور ذهنه وسرعة بديهته في إبداء رأيه في الوقت المناسب. وليس أدلّ على ذلك من موقف النبيّ يوسف عليه السلام عندما سأله اثنان من السجناء عن تفسير حلميهما، فانتهز الفرصة وذكّرهم بالله الخالق الأحد والابتعاد عن عبادة الأوثان والأصنام: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[1].

لذلك يجب على المبلِّغ أن يتحيّن الفرص ويغتنمها في سبيل تبليغ رسالته إلى الناس بكلّ ما أوتي من ذكاء وفطنة وسرعة بديهة.

8. الوعي السياسيّ:

ومن الصفات الهامّة الأخرى للمبلِّغ أن يكون على قدرٍ كافٍ من فهم القضايا السياسيّة والاجتماعيّة، وأن تكون لديه القدرة على إطلاع الناس على الأحداث والوقائع السياسيّة، وذلك بمتابعة الإذاعات والنشرات المتنوّعة لكي يمضي على منهج سياسيّ إسلاميّ قويم، يتّسم باللّاشرقيّة واللّاغربيّة، وكذلك يطّلع على الأوضاع الداخليّة للبلدان الإسلاميّة، ومواقف الشعوب تجاه حكوماتها، إضافة إلى موقف حكّام الدول الإسلاميّة من القوى العظمى.

ومن اللّازم أن يكون واضحاً لدى المبلِّغ ما للقوى العظمى ودول الاستكبار العالميّ من خطط شيطانيّة لاستغلال البلدان الضعيفة واستضعافها، وفي المقابل موقف مستضعفي العالَم تجاه مخطّطاتهم الخطيرة.

9. تشخيص الأهمّ والمهمّ:

إنَّ مهمّة المبلِّغ الدِّينيّ هي في بعض جوانبها مثل مهمّة الطبيب في معالجة الأمراض البدنيّة، وكما أنّ الطبيب الحاذق يبدأ بتشخيص المرض الأساس لدى المريض ومن ثمّ معالجته، هكذا المبلِّغ الدِّينيّ يجب أن يبدأ بتشخيص ما لدى المريض ومن ثمّ معالجته.

(1) سورة يوسف ، الآيتان 39-40.

فعلى المبلِّغ الدِّينيّ أن يبدأ بتشخيص ما هو الأهمّ في الجوانب الثقافيّة والأخلاقيّة والسياسيّة الّتي يحتاج إليها الناس، وبمقدار ما يكون دقيقاً وحاذقاً في التشخيص يكون ناجحاً وموفّقاً في عمليّة الهداية والإرشاد.

فقد ورد في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «**العلماء همّتهم الرعاية، والسفهاء همّتهم الرواية**»[1].

يجب أن يدرس منذ ممارسته التبليغيّة مع الناس جميع الأبعاد في المكوِّنات الثقافيّة والأخلاقيّة والسياسيّة، لدى الأشخاص الذين يُريد التبليغ في وسطهم، وفي ضوء ذلك يطرح المفاهيم المناسبة والعلاجات الفكريّة والأخلاقيّة الناجحة.

يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**من اشتغل بغير المهمّ ضيّعَ الأهمَّ**»[2].

10. المساعي الإنسانيّة:

ينبغي أن يقف المبلِّغ الدِّينيّ موقفاً وسطاً معتدلاً في الاشتغال بالمساعي الإنسانيّة، كإصلاح ذات البين، وقضاء حاجات الفقراء وإعانة المساكين وتقديم الخدمات، فهي مطلوبة منه، إلّا أنّه لا يصحّ الاستغراق فيها كأنّها مهمّته الأساس، بحيث ينظر الناس إليه وكأنّه مدير مؤسّسة خيريّة، أو موظّف في دائرة الخدمات الاجتماعيّة، وما شاكل ذلك.

إنّ المبلِّغ الدِّينيّ لا يصحّ أن يبتعد تماماً عن المساعي الإنسانيّة بل هي جزء من وظيفته باعتباره مصلحاً وهادياً ومنقذاً للضعفاء، ومدافعاً عن حقوق المساكين، ومن حقّ الناس أن يتطلّعوا إليه باعتباره حلّال مشاكلهم، إلّا أنّ المبلِّغ الدِّينيّ قد يتورّط في خطأ آخر إذا هو استغرق وقته وشغله وجهده في هذه الأمور بعيداً عن تثقيف الناس وهدايتهم من خلال البرامج الموضوعة لذلك. وينبغي أن يشرح للناس قولاً وعملاً أنّ مسؤوليّة الأمور الخدميّة يجب أن توضع في عهدة جهات أخرى سواء كانت مؤسّسات خيريّة، أو مؤسّسات الدولة العامّة.

(1) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج2، ص 37.

(2) التميمي الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق وتصحيح السيد مهدي رجائي، نشر دار الكتاب الإسلامي، إيران- قم، 1410ه، ط2، ص 626.

11. مراعاة أسس التفاضل الإسلاميّ:

لقد وضع الإسلام مجموعة أسس للتفاضل بين الناس، كالعلم، والتقوى، والجهاد، والسابقة الدِّينيّة، والشرف الاجتماعيّ وغير ذلك.

ومن هنا يقع على عاتق المبلِّغ الدِّينيّ أن لا يغفل عن مراعاة هذه الأسس في التعامل مع الناس.

يجب أن يُعطي لأهل العلم، وذوي الكفاءة، وأهل التقوى والصلاح، والمجاهدين والسابقين في نصرة الدِّين، وأصحاب الشرف والوجاهة في المجتمع... عليه أن يعطي لهؤلاء مواقعهم المناسبة في مشاريعه وعلاقاته.

وفي الوقت الّذي يعمل فيه على استيعاب الجميع إلّا أنّه لا بدّ من احتضان أصحاب الملاكات أكثر من غيرهم، كما جاء في وصيّة الإمـام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر حيث يقول عليه السلام:

«والصق بأهل الورع والصدق...».

«وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء...».

«ثمَّ الصق بذوي الأحساب وأهل البيوتات الصالحة، والسوابق الحسنة، ثمَّ أهل النجدة والشجاعة والسخاء، والسماحة...».

«وتوخّ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة، والقَدَم في الإسلام المتقدّمة، فإنّهم أكرم أخلاقاً، وأصحّ أعراضاً...» [1].

فلا بدَّ من أن يعمل جاهداً على جذب هذه العناصر وتقريبها منه حتّى يكونوا أهل مجلسه ومشورته قبل غيرهم.

(1) نهج البلاغة، مصدر سابق، ص 430، من عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر عندما ولاه مصر، الكتاب 53.

المفاهيم الرئيسة

1. المبلِّغ هو الركن المهمّ في عمليّة التبليغ، وهو الّذي يُدير دفّة العمليّة التبليغيّة
2. وظيفة المبلِّغ الدِّينيّ هي هداية الناس نحو مقام القرب الإلهيّ.
3. إنّ منزلة المبلغ ومقامه يجب أن يتناسبا مع وظيفته الهامّة، ولهذا فإنّ له منزلة هامّة وعظيمة.
4. وظيفة المبلِّغ إحياء الناس فكريّاً وروحيّاً.
5. من الخصائص الّتي ينبغي أن يتحلّى بها المبلِّغ: الوعي ومعرفة الهدف، العلم التفصيليّ بالموضوع، الإيمان بالفكرة، العمل بالفكرة، الحزم، قوّة الاستدلال، الوعي السياسيّ.
6. يجب على المبلغ اغتنام الفرص، وامتلاك القدرة على تشخيص الأهمّ والمهمّ، المساعي الإنسانيّة.
7. ينبغي للمبلغ أن لا ينتابه الخوف والوهن من كلّ ما يمكن أن يعيقه في التبليغ.
8. إنّ أفضل سبل الدعوة هو إطلاع الناس على الحقائق.

الدرس الرابع:

صفات المبلّغ

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى صفات المبلّغ الأخلاقيّة.

2 . يتعرّف إلى صفات المبلّغ العلميّة.

3 . يشرح صفات المبلغ العمليّة.

تمهيد

يجب على المبلِّغ الّذي يصبّ كلّ جهده على تبليغ الإسلام أن يتّصف بالصفات الحسنة والفضائل النبيلة، وهذه الصفات على أقسام ثلاثة:

القسم الأوّل: الصفات الأخلاقيّة

تتفاوت قيم الأعمال، بتفاوت غاياتها والبواعث المحفّزة عليها. وكلّما سمت الغاية، وطهرت البواعث من شوائب الغشّ والتدليس والنفاق، كان ذلك أزكى لها، وأدعى إلى قبولها لدى المولى عزّ وجلّ. وليس الباعث في الشريعة الإسلاميّة إلّا النيّة المحفّزة على الأعمال، فمتى استهدفت الإخلاص لله تعالى، وصفت من كدر الرياء نبلت وسعدت بشرف رضوان الله وقبوله، ومتى شابها الخداع والرياء، باءت بسخطه ورفضه. لذلك كان الإخلاص حجراً أساساً في كيان العقائد والشرائع. والأخلاق ميزان الشخصيّة الإسلاميّة وبها نستطيع نشر الإسلام ولو فكريّاً.

1. الإخلاص:

الإخلاص هو صفاء الأعمال من شوائب الرياء، وجعلها خالصة لله تعالى، وهو قوام الفضائل، وملاك الطاعة، وجوهر العبادة، ومناط صحّة الأعمال وقبولها لدى المولى عزّ وجلّ. وقد مجّدته الشريعة الإسلاميّة، ونوّهت بفضله، وشوّقت إليه، وباركت جهود المتحلّين به في عدّة من الآيات والأخبار قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1].

(1) سورة الكهف، الآية 110.

وعن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**الدنيا كلّها جهل إلّا مواضع العلم، والعلم كلّه جهل إلّا ما عمل به، والعمل كلّه رياء إلّا ما كان مخلصاً، والإخلاص على خطر، حتّى ينظر العبد بما يُختم له**»[1].

ولا شكّ في أنّ ما يقوم به المبلِّغ في تبليغ أحكام الدِّين، وتربية المجتمع على قيم السماء هو وظيفة شرعيّة مقدّسة تنطلق من وجوب تعليم الأحكام الشرعيّة، وبيان أصول العقيدة، وبثّ روح الأخلاق الإسلاميّة بين الناس، وهو ما يحتاج إلى درجة عالية من الصفاء والإخلاص بحجم الأمانة الّتي يحملها.

2. **التوكّل على الله تعالى:**

التوكّل هو الثقة بالله عزّ وجلّ، والركون إليه، والتوكّل عليه دون غيره من سائر الخلق والأسباب، باعتبار أنّه تعالى هو مصدر الخير، ومسبّب الأسباب، وأنّه وحده المُصرّف لأمور العباد، والقادر على إنجاح غاياتهم ومآربهم. وانقطاع العبد في جميع ما يأمله من المخلوقين، والاعتماد على الله تعالى في جميع الأمور، وتفويضها إليه، والإعراض عمّا سواه، وباعثه قوّة القلب واليقين، وعدمه من ضعفهما أو ضعف القلب، وتأثّره بالمخاوف والأوهام.

والتوكّل هو من دلائل الإيمان، وسمات المؤمنين ومزاياهم الرفيعة، الباعثة على عزّة نفوسهم، وترفّعهم عن استعطاف المخلوقين، والتوكّل على الخالق في كسب المنافع ودَرء المضار. وقد تواترت الآيات والآثار في مدحه والتشويق إليه: قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[2] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[3].

وللتوكّل أركان أربعة يذكرها الإمام الخمينيّ قدس سره في «**الأربعون حديثاً**» هي:

- إنّ الحقّ تعالى عالم بحاجات العباد.

---

(1) الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تصحيح الشيخ حسين الأعلمي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان - بيروت، 1404ه - 1984م، لا.ط، ج 2، ص 253.

(2) سورة الطلاق، الآية 3.

(3) سورة آل عمران، الآية 159.

- إنّه تعالى قادر على تلبية تلك الحاجات.
- إنّه ليس في ذاته المقدّسة بُخل.
- إنّ الله رحيم بالعباد رؤوف بهم[1].

وليس معنى التوكّل إغفال الأسباب والوسائل الباعثة على تحقيق المنافع، ودرء المضارّ، وأن يقف المرء إزاء الأحداث والأزمات مكتوف اليدين. وليس هو الاعتماد التامّ على الأسباب والوسائل وحدها، بل هذا نوع من الشرك الناتج من ضعف الإيمان والثقة بالله تعالى.

فلا بُدّ لتحقيق التوكُّل من الأخذ بأسباب الحياة والالتزام بقوانينها، بالاستفادة من الأسباب الطبيعيّة، والوسائل الظاهريّة لتحقيق أهدافه ثمّ نتوكَّل على الله تعالى ونطلب منه أن يمدّنا بالتوفيق والعناية والعطاء الغيبيّ.

وبما أنّ التوكّل هو صفة إيمانيّة أساس تُعزّز العلاقة بالله تعالى، ما يعني أنّه سينتج منها الثقة والعزّة والثبات والقوّة، وينعكس نجاحاً وتوفيقاً في العمل التبليغيّ وغيره على مستوى الدنيا، وثواباً وفوزاً في الآخرة، فكيف إذا كان هذا العمل هو تبليغ دين الله تعالى؟

3. الشجاعة:

هي من الصفات النفسيّة المطلوبة للمبلِّغ ليُكمل مسيرته برغم الظلم والكفر الّذي يواجهه، فإنّ هذه التيّارات القويّة بحاجة إلى قوّة أخرى أقوى منها لتسيطر عليها. فالضعف والهوان يؤدّيان إلى إيقاف عمليّة التبليغ أو إبطائها فلا بدَّ من الشجاعة.

4. الصدر الواسع:

تُعتبر رحابة الصدر من الصفات المهمّة، لأنّ المبلِّغ يواجه كثيراً من أصناف الناس أصحاب الكِبر الّذين هم بحاجة إلى من يستوعب عقولهم وأفكارهم. وهنا عليه أن ينظر إلى سيَر الأنبياء عليهم السلام ولا سيّما النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وسِيَر الأئمّة المعصومين عليهم السلام فهم برغم الأذى الّذي لحقهم فتحوا صدورهم لجمع الناس تحت راية الإسلام.

(1) راجع: الإمام الخميني، الأربعون حديثاً، ص209.

وقد طلب النبيّ موسى عليه السلام - حين أمره الله بالتبليغ - أن يشرح الله صدره: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾[1].

5. الصبر:

لا بدَّ للمبلِّغ من أن يكون صابراً في جنب الله عزّ وجلّ، سواء على عمليّة التبليغ نفسها أو على المشاكل والمصاعب الّتي يُمكن أن تواجهه في عمله التبليغي، اقتداءً بالأنبياء والرسل، ولا سيّما أن الصبر الّذي امتاز به الأنبياء أولو العزم والذي ذكره الله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[2]، لم يكن صبراً على بلاء شخصّي، إنّما كان صبراً على صعوبات العمل المختلفة، ولهذا فقد كان ميّزة الأنبياء «**أولي العزم**» الّذين فضّلوا على سائر الأنبياء أنّهم «**أولو عزم**». وقد تكون دلالة هذا الوصف واضحة على رباطة جأشهم، وسعة تحمّلهم، وقوّة شخصيّتهم أمام المشكلات.

وقد أمر الله تعالى بالتحلّي بهذه الصفة المهمّة جدّاً في قوله سبحانه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾[3]. فأنت تُلاحظ أنَّ الصبر هنا هو الصبر على العمل نفسه. كما أمر الله تعالى نبيّه في موضع آخر بقوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾[4]. وأنت تُلاحظ أنّ الصبر هنا هو الصبر على الآخرين.

والمبلِّغ الدِّينيّ الّذي يُريد أن يؤدّي رسالة الله إلى الناس يجب أن يستعدّ لصنوف الأذى سواءٌ من الأصدقاء لجهلهم، أو اختلاف أمزجتهم وتنوّع آرائهم، أو لصدقهم في النصيحة له وتقويمه وإرشاده أو من الأعداء بمختلف مستويات عدائهم في الدِّين أو المذهب أو الطريقة أو المصلحة.

(1) سورة طه، الآيات 25-28.
(2) سورة الأحقاف، الآية 35.
(3) سورة الكهف، الآية 28.
(4) سورة المزمل، الآية 10.

6. الصدق:

الصدق - في مقابل الكذب- هو مطابقة الكلام (الخبر، الحكم) للواقع واعتقاد المتكلّم[1].

ومن ثمّ فإن مجال الصدق لا يتحدّد بالكلام وحسب، بل إنه يشمل الاعتقاد والعمل أيضاً[2].

وبناءً عليه، فإنّ المبلّغ الصادق هو الشخص الذي يعكس كلامه تمام صفحة الواقع وما يعتقده، وكان عمله مؤيّداً لهذين الأمرين.

ويظهر الصدق بنحوٍ كاملٍ إذا كان موافقاً للقلب واللسان والعمل، أمّا إذا كان كلام الإنسان مخالفاً للواقع وما يعتقده، أو كان كلامه مخالفاً لفعله، فلا يمكن تسميته بالصادق. ولهذا السبب فقد ذمَّ الله تعالى أولئك الذين يقولون للناس أشياءَ لا يقومون هم أنفسهم بفعلها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[3].

إنَّ أهمّيّة الصدق في النظام القِيَميّ في الإسلام كبيرة جدّاً، إلى حدّ أنّ الله تعالى مدح نفسه ومجّد أنبياءه به[4]، وفي مقابل ذلك فقد ذمّ الله تعالى الكذب والكاذبين[5].

رَوَى أحد أصحاب الإمام الباقر عليه السلام عندما تشرَّف بالدّخول عليه لتعلّم الحديث: «**قال لي أبو جعفر عليه السلام في أوّل دخلة دخلت عليه، تعلموا الصدق قبل الحديث**»[6].

---

(1) مفردات الراغب، مادّة صدق.

(2) المصدر نفسه، مادة صدق.

(3) سورة الصف، الآيتان 2-3.

(4) ومثالًا على ذلك لاحظ هذه الآيات:

﴿... وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ (سورة الأنعام، الآية 146).

﴿... وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ (سورة النساء، الآية 87).

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾ (سورة مريم، الآية 41).

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾ (سورة مريم، الآية 56).

(5) انظر إلى هذه الآيات الشريفة:

﴿... فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ...﴾ (سورة الأنعام، الآية 144).

﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ﴾ (سورة البقرة، 79).

(6) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص104؛ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج71، ص403.

كيف نكون صادقين في التبليغ

أ. الاعتماد في بيان الآيات القرآنية – وبقدر الإمكان- بشكلٍ مباشر على القرآن الكريم والاستفادة في ترجمة الآيات وتفسيرها من التراجم المعتبرة والتفاسير القيِّمة كتفسير الميزان و....

ب.الاستفادة في بيان الأحكام الشرعيّة من الرسائل العمليّة لمراجع التقليد وغيرها من الطرائق الموجبة للاطمئنان إلى الحكم الشرعيّ، والتي ورد ذكرها في مقدّمات رسائل المراجع[1].

ت.في مجال الروايات، لا بدّ من التدقيق في أسانيدها ومحتواها، ونقلها من الكتب الروائيّة المعتبرة، وذكر المصادر بدقّة مِثل: نهج البلاغة، أصول الكافي، آثار الشيخ المفيد والشيخ الصدوق والشيخ الطوسيّ وأمثال هؤلاء العظماء[2].

ث.بيان مدائح الأئمّة ومصائبهم عليهم السلام وخصوصاً النهضة المقدّسة للإمام الحسين عليه السلام بالاستفادة من المصادر الروائيّة والتاريخيّة[3] المعتبرة وأشعار الشعراء المشهورين، والإعراض عن بيان المطالب الواهية وغير المسندة.

ج. لا بدّ من التدقيق في عرض المسائل السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة وغيرها، والتحقيق في مورد الأخبار والمصادر والأفراد حيث لا يقين بصدقهم وعدالتهم. ولا بدّ هنا من التذكير دائماً بالتوصية القرآنيّة القائلة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾[4].

ح. إذا أردت نقل الكلام بمعناه وليس بالنصّ وكذلك إذا أردت التصرّف فيه أو تلخيصه فلا بدّ حتماً من الإشارة إلى ذلك.

(1) انظر رسالة توضيح المسائل، أحكام التقليد.
(2) نظير كتاب الإرشاد للشيخ المفيد، ومنتهى الآمال للمحدّث القميّ.
(3) المصدر نفسه.
(4) سورة الحجرات، الآية 6

7. الرفق والحرص والمحبّة:

الرفق واللين من الصفات الّتي تظهر في الشخصيّة عمليّاً. وعلى المبلِّغ التحلّي أكثر بمثل هذه الصفات الّتي لها دور واسع في احتكاكه بالناس وتواصله معهم. فالمبلِّغ يدعو للإسلام بوجوده قبل لسانه، ولهذا كان الحرص على الناس وإضمار المحبّة لهم من الصفات الأساس الّتي يجب التحلّي بها. ولقد وصف الله تعالى نبيّه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بالقول: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، ما يُدلّل على أنَّ أهمَّ خاصيّة للمبلِّغ الدِّينيّ الّذي يُريد أن يرث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويؤدّي أمانته الحرص على الناس، واستشعار روح الخدمة لهم، ومحبّتهم، والرفق بهم.

فهو إنّما نصّب نفسه هادياً ومرشداً ودليلاً إلى الجنّة، وإلى الرحمة الإلهيّة، وإلى النجاة من النار، فعليه أن يدرك موقعه هذا وما يتطلّبه منه من روح رؤوف عطوف، وشعور كبير بالحنان على الناس. ونحن هنا لا نُريد أن نتحدّث عن كيفيّة التعامل مع الناس، فقد يأتي هذا الحديث في فصل لاحق، إنّما نتحدّث عن المنطلقات النفسية في عمليّة التبليغ، والمشاعر الوجدانيّة للمبلِّغ الدِّينيّ. يقول الإمام علي عليه السلام: «**وأشعر قلبك الرحمة للرعيّة، والمحبّة لهم، واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعاً ضارياً...**»[2].

وينبغي أن يشعر في عمق وجدانه أنّه مؤتمن على هؤلاء الناس، وأنّه قد استُودِعَ دينهم، وأعراضهم، وأموالهم، وأنَّ الشريعة الإسلاميّة قد وضعته في موضع الراعي المؤتمن على الرعية.

8. التواضع:

يُعتبر التواضع كذلك من الصفات الأكثر حاجة من غيرها لأنّها تمسّ الواقع مباشرة، فإنّ حبّ الناس والتعاطي معهم يُلزم المبلِّغ أن يكون متواضعاً، ليُشارك الناس في أمور حياتهم ولا يكون مترفّعاً عنهم، لأنّ ذلك يؤدّي إلى نفور الناس منه وعدم تقرّبهم إليه. وتوجد هناك صفات أخلاقيّة أخرى، وإنّما ذكرنا هنا ما رأيناه يتعلّق مباشرة بعمليّة التبليغ.

---

(1) سورة التوبة، الآية 128.

(2) نهج البلاغة، مصدر سابق، ص 427، من عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر عندما ولاه مصر، الكتاب 53.

القسم الثاني: الصفات العلميّة

من الصفات العلميّة الّتي ينبغي للمبلِّغ أن يتحلّى بها:

1. التفقّه في الدِّين:

أن يكون المبلِّغ فقيهاً في دين الله عزّ وجلّ، يُبلِّغ الإسلام الصحيح. وليس المقصود هنا هو الوصول لمرحلة ما يُسمّى بالاجتهاد بل المقصود هو فهم الدِّين على الوجه الصحيح، لأنّ الفهم الخاطىء للإسلام ينعكس على طريقة تقديمه وأسلوبه ووسيلته للآخرين. فمثلاً إذا أراد المبلِّغ أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يجب أن يكون عالماً بموارد المعروف وموارد المنكر، وإلّا ذهب إلى غير طريق وسلك وادياً لا يسلكه إلّا أصحاب البدع والجهل.

2. دوام التحصيل:

إنّ التحصيل المستمرّ هو من الضروريّات الأساسيّة للمبلِّغ وذلك زيادة لقدراته العلميّة والعمليّة. والتبليغ يجب أن يُواكب الزمان والمكان فالعلم يكون كلّ يوم في نموّ وتطوّر مستمرّ فعليه أن يكون دائماً على متابعة علميّة لكلّ الأفكار الّتي تُطرح وتنتج سواء على المستوى الإسلاميّ أو الثقافات الأخرى.

3. المعرفة بالزمان والمكان:

على المبلِّغ أن يكون صاحب زمانه وعارفاً مكانه، لا تختلط عليه الأمـور، عن الإمام عليّ عليه السلام: «**حسب المرء .. من عرفانه، علمه بزمانه**»[1]. وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**العالم بزمانه، لا تهجم عليه اللوابس**»[2].

(1) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 75، ص 80.
(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص 27.

القسم الثالث: الصفات العمليّة

من الصفات العمليّة الّتي ينبغي للمبلِّغ مراعاتها:

1. القدوة الحسنة:

إنَّ أوّل ما يجب على المبلّغ الدِّينيّ أن يتحلّى به هو التوافق بين قوله وفعله، فهو واعظ بسلوكه قبل أن يكون واعظاً بلسانه، وبذلك يمتلك التأثير في الناس وتكون كلمته نافذة إلى قلوبهم. وفي هذا يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**من نصّب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه**»[1].

وليكن واضحاً أنّ هذا الحديث الشريف لا يختصّ بمقامات الإمامة العليا، وإنّما يشمل كلّ من نصّب نفسه قدوة ومرشداً وهادياً للناس.

2. الزهد في الدنيا:

لا يصحّ أن يتطلّع المبلِّغ الدِّينيّ الّذي يرجو ثواب الله والدار الآخرة إلى ما في أيدي الناس، ويستهويه حطام الدنيا، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه لعليّ عليه السلام: «**لَئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك ممّا طلعت عليه الشمس**»[2].

وقد خاطب الله تعالى نبيّه بالقول «﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[3]. ومن المفيد أن نقرأ هنا رواية عن المفضّل وهو أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام **يقول: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام بالطواف فنظر إليَّ وقال لي: يا مفضّل ما لي أراك مهموماً متغيّر اللون؟ فقال: فقلت له جعلت فداك، بنظري إلى بني العبّاس وما في أيديهم من هذا الملك والسلطان والجبروت، فلو كان ذلك لكم لكنّا فيه معكم. فقال: «يا مفضّل أمّا لو كان ذلك لم يكن إلّا سياسة الليل وسياحة النهار، أكل الجشب ولبس الخشن شبه أمير المؤمنين عليه السلام**

(1) نهج البلاغة، مصدر سابق، ص 480، الشيخ الحرّ العاملّي، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج 16، ص 151.
(2) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 32، ص 448.
(3) سورة طه، الآية 131.

وإلّا فالنار»[1]. ومفهوم منه أنّه لو كان الملك إليهم لم يتركوا عبادة الليل والعمل في النهار بعيداً عن الترف والنعيم.

3. التبليغ أداء التكليف:

يجب أن يستشعر المبلِّغ أنّه إنّما يؤدّي وظيفته الشرعيّة، وتكليفه الإلهيّ. هذا الشعور سوف يجنّبه حالة الامتنان على الناس، كما سيجنّبه حالة التعب والملل، ويساعد على الصبر ومواصلة الطريق. وقد أرشد الله تعالى نبيّه ﷺ إلى أن يستشعر هذه الحالة دائماً حتّى لا ينهار ولا يضيق صدره ولا تذهب نفسه حسرات حينما يصطدم ببعض الواقع المرّ.

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾[2].

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[3].

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾[4].

هكذا المبلِّغ الدِّينيّ، فهو حينما يُمارس دوره التبليغيّ إنّما يؤدّي وظيفته الشرعيّة ويجهد في أدائها بأحسن وجه وليس عليه بعد ذلك أن ينجح، بل ربّما يستشهد ويُقتل.

إنَّ هذا الإحساس والانطلاق من منطلق «**أداء التكليف**» سوف ينعكس على طبيعة ممارسته التبليغيّة، فهو لا يوغل في التشديد على الناس ومطاردتهم ومخاصمتهم لأنّه ليس مسؤولاً إلّا عن إبلاغ الرسالة وإيصال كلمة الحقّ.

وقد كان الإمام الصادق عليه السلام يوصي أصحابه بذلك قائلاً: «**ولا تُخاصموا بدينكم الناس فإنّ المخاصمة ممرضة للقلب، إنّ الله عزّ وجلّ قال لنبيّه ﷺ:** ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ **وقال:** ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾»[5].

---

(1) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج52، ص 359.
(2) سورة البقرة، الآية 272.
(3) سورة القصص، الآية 56.
(4) سورة طه، الآيتان 1-2.
(5) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص 166.

4. الأمانة على الشريعة:

يجب أن يستشعر المبلِّغ الدِّينيّ ويرسّخ ذلك في أعماقه أنّه أمين على الشريعة، مسؤول عن إبلاغها للناس بأحسن وجه، انطلاقاً من قوله ص: «**الفقهاء أمناء الرسل**»[1]، وانطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[2].

فالمبلِّغ الدِّينيّ إنّما يُبلِّغ الناس ما تعلّمه من أحكام الشريعة ومعتقدات الرسالة الإسلاميّة الخاتمة.

إنَّ هذا الشعور بالأمانة يجب أن يدعوه للمزيد من الدقّة في النقل، والنصح في الأداء وإبلاغ الأمانة بأحسن وجه بعيداً عن التساهل والتسامح والتهاون. لقد أكّد الله تعالى لنبيّه ﷺ تمثّل هذه الصفة، واستشعار روح الأمانة في الشريعة والرسالة قائلاً:

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾[3].

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾[4].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[5].

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾[6].

وهكذا كان ﷺ أمين الله على وحيه، وكان: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[7].

ولهذا نقرأ في زيارته ﷺ: «**وأشهد أنّك قدْ بلّغت رسالات ربّك ونصحت لأمّتك**»[8].

والمبلِّغ الدِّينيّ مؤتمن على مصالح المسلمين أيضاً. فهو في موقع الممثِّل والوكيل عن

(1) المصدر نفسه، ج1، ص 46.
(2) سورة التوبة، الآية 122.
(3) سورة آل عمران، الآية 20.
(4) سورة الرعد، الآية 7.
(5) سورة المائدة، الآية 67.
(6) سورة الحاقة، الآيتان 44-45.
(7) سورة النجم، الآيتان 3-4.
(8) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج4، ص 550.

الولاية الشرعيّة ويجب أن يُعطي الناس الموقف الدِّينيّ والسياسيّ والاجتماعيّ الصحيح في مختلف الأمور.

وإذا كان الناس قد أُمروا بالرجوع إلى العلماء، كما جاء في الحديث الشريف المرويّ عن صاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف « **أمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا**»[1] فإنَّ المبلِّغ الدِّينيّ ينبغي أن يجتهد في تقديم الموقف الصحيح للناس لأنَّه أمين عليهم وأمين على الشريعة ونائب عن القيادة الشرعيّة، وعن وليّ الله الأعظم أرواحنا له الفداء.

وهكذا يكون المبلِّغ الدِّينيّ أميناً على الثورة الإسلاميّة، وعلى دماء الشهداء، ودماء العلماء الصالحين، لأنّه خليفتهم في مواصلة الطريق وحمل لواء الثورة، ومشعل الهداية.

وهو أمين بذلك على الحركة الجهاديّة وما رافقها من تضحيات، وصبر، وبطولات، وسجون، وكلّ ما تبعها من أيتام، وحركة هجرة، وغربة، وغير ذلك.

(1) الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه، كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1405ه - 1363 ش، لا.ط، ص 484.

المفاهيم الرئيسة

1. يجب على المبلِّغ المتصدّي لتبليغ الإسلام أن يتّصف بالصفات الحسنة والفضائل النبيلة.
2. من صفات المبلِّغ الأخلاقيّة: الإخلاص، التوكّل على الله تعالى، الشجاعة، الصبر، الصدق، الرفق والحرص والمحبّة، التواضع.
3. من صفات المبلِّغ العلميّة: التفقّه في الدِّين، دوام التحصيل، المعرفة بالزمان والمكان.
4. يجب أن يستشعر المبلِّغ الدِّينيّ ويرسّخ في أعماقه أنّه أمين على الشريعة، ومسؤول عن إبلاغها للناس بأحسن وجه.
5. من صفات المبلِّغ العمليّة: القدوة الحسنة، الزهد في الدنيا، الأمانة على الشريعة.
6. يجب أن يتحلّى المبلّغ بصفة التوافق بين قوله وفعله.
7. يجب على المبلّغ أن ينطلق في التبليغ من قضية أداء التكليف.

الدرس الخامس:

المضمون التبليغيّ

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى المقصود من المضمون التبليغيّ.

2 . يتعرّف إلى أهميّته المضمون التبليغيّ وأنواعه.

3 . يشرح خطوات كيفيّة إعداد المضمون التبليغيّ.

تمهيد

المضمون هو المادّة الدِّينيّة الّتي يُعدّها المبلّغ ليقدّمها إلى الجمهور، بهدف تعريفهم إلى أحكام الدِّين، وإقناعهم، والتأثير الإيجابيّ الفعّال في سلوك المجتمع الإنسانيّ، وتوجيهه بطريقة صحيحة بغية خلق التغيير الفكريّ والإيمانيّ والسلوكيّ، وكسب محبّة الناس وثقتهم وطاعتهم والتزامهم الاختياريّ بأحكام الشريعة الإسلاميّة.

أهميّة المضمون وخصوصيّته

للمضمون التبليغيّ أهمّيّة قصوى في العمليّة التبليغيّة لكونه:

- يُشكّل حلقة الوصل بين المبلِّغ والناس.
- لكونه يُشكّل العنصر الأهمّ في بناء العنصر البنيويّ الفكريّ والسلوكيّ للمسلم.
- لكونه العنصر المباشر الّذي يرتبط بمبدأ الهداية والتزكية.
- لكونه يُشكّل ميزان صلاح المجتمع وفساده.

إعداد المضامين التبليغيّة

1. **مشاكل الكتابة دون أسس وعيوبها:**

- لا نعرف من أين نبدأ وكيف ننتهي، التشويش الذهنيّ.
- تداخل الأفكار و تبعثرها.
- التكرار والاستطراد.
- تعقيد الأفكار.
- خلط المهمّ مع غيره.

- سوء التعبير.
- كتابة معلومات غير صحيحة وغير أكيدة، عدم الدقّة.
- الاعتماد على مسلّمات غالباً ما تكون خاطئة.
- عدم الوصول إلى هدف الكتابة.

2. **خطوات قبليّة في إعداد المضمون التبليغيّ:**

يجب قبل المباشرة بإعداد المضمون التبليغيّ، بغضّ النظر عن حجمه ونوعه، مراعاة عدّة أمور أهمّها:

أ. نوع المناسبة، المكان، الوقت: فهذه عناصر لها ارتباط وصلة بإعداد المضمون، إذ معرفة المناسبة، ومكان عرض المادة أو تقديمها، والوقت المحدّد لها، ترتبط بالتخطيط الأوّليّ للمضمون، وتنعكس على تفاصيل المضمون أيضاً.

ب. معرفة الجمهور: يجب أن تكون لدى المبلّغ فكرة عامّة عن خصائص من يستمعون إليه: متوسّط أعمارهم، ومستوى تعليمهم، واتّجاهاتهم نحو موضوع الحديث، وحجم هذا الجمهور.

ت. مستوى التعلّم: تختلف قدرة الناس على الفهم تبعًا لحصيلتهم اللغويّة في مراحل عمرهم، وتبعًا لمستوى تعليمهم؛ فحديثك عن الصلاة أو التوحيد مثلاً لمجموعة من الأطفال دون الثامنة، يجب أن يختلف عن حديثك عن الموضوع نفسه لطلّاب في نهاية المرحلة الثانويّة. والاختلاف يكون عادة في المفردات والتراكيب وأنواع الوقائع والمعلومات الّتي تقدّمها.

ث. الاتّجاهات: إذا كنت ستتحدّث في موضوع جدليّ، فعليك أن تعرف اتّجاه جمهورك نحوه؛ هل يميل معظمهم إلى وجهة نظرك أو هم لا يبالون؟ إذا كان اتّجاههم مخالفاً لاتّجاهك، أو إذا كانوا غير مبالين، فأنت مطالب بجمع كثير من الحقائق والمعلومات لإقناعهم.

ج. الحجم: تتطلّب المجموعة كثيرة العدد حديثًا أكثر رسميّة من المجموعة قليلة

العدد. والحديث لمجموعة كبيرة قد يكون من منبر أو منصّة، بينما يمكن أن تتحدّث مع مجموعة صغيرة وأنت جالس في مقعدك. هذا إضافة إلى أثر حجم الجمهور في الأسلوب العامّ لإلقائك.

3. **ضوابط وشروط في إعداد المضمون التبليغيّ:**

للمضامين التبليغيّة العديد من الضوابط والشرائط أهمّها:

أ. ضوابط لها صلة بالمنهج

- الانسجام مع الأهداف المحدّدة.
- المطالعة، واستخراج الأفكار الرئيسة، ووضع هيكل أوّليّ.
- التصنيف الموضوعيّ للأفكار.
- وضع عناوين مناسبة لفروع الموضوع وجزئيّاته.
- التوثيق.

ب. ضوابط لها صلة بالأسلوب

- انسجام الأسلوب مع نوع المضمون.
- الكتابة وضبط الشواهد الرئيسة.
- الاكتفاء بالمضمون المباشر، من دون الاستطراد، والإنشائيّات

ت. خطوات فنّيّة ضروريّة.

يجب قبل المباشرة بإعداد المضمون التبليغيّ مراعاة الأمور الآتية:

- تحديد الهدف.
- اختيار الموضوع الكلّيّ، ثمّ تحديد العنوان الجزئيّ للموضوع.
- مراعاة مناسبة المضمون لتوافق الأسلوب المناسب والمطلوب.
- كتابة مسوّدة جانبيّة لمعرفة مدى انطباق الأهداف وتوزّعها على الفقرات.
- الإجابة عن الأسئلة الآتية:
- ما هي المصادر أو المراجع الّتي تحدّثت في هذا الموضوع؟

- من هم الأفراد الّذين لديهم معلومات في هذا الموضوع؟
- ما هي الفترة الّتي سوف أخصّصها للمطالعة والإعداد ؟ وهل هي كافية؟

4. **الخطوات التفصيليّة في إعداد المضمون:**

- المطالعة وتدوين رؤوس الأقلام والمختصرات.
- جمع المعلومات.
- تصنيف المعلومات.
- تنظيم محتوى الموضوع.

تفصيل الخطوات المذكورة:

- المطالعة وتدوين رؤوس الأقلام
- الاستفادة من الفهارس والمعاجم الموضوعيّة.
- اختيار المصادر والمراجع.
- القراءة السريعة.
- تدوين الملاحظات ورؤوس الأقلام.
- مراعاة مراحل التلخيص
- قراءة النص بدقّة وتركيز.
- تحديد الأفكار الأساس، واكتشاف بنية النصّ.
- وضع تصميم يبيّن الأفكار الرئيسة والفرعيّة.

5. **ضوابط مساعدة في جمع المعلومات:**

اجمع أكبر قدر من المعلومات عن المضمون التبليغيّ:

«**إنّ النحلة تمتصّ رحيق مليون زهرة حتّى تعطينا مائة جرام من العسل**».

لا تجمع إلّا المعلومات الصحيحة الموثّقة.

لا تجمع إلّا الأفكار الّتي تناسب الموضوع.

إيّاك والأفكار الجاهزة بل أعِدّ صياغتها بأسلوبك وأضف إليها تعليقك أو ملاحظاتك.

استعن بأدوات جمع المعلومات التكنولوجيّة مثل: أسطوانات الكمبيوتر ومواقع الإنترنت.. إلخ.

6. **خطوات بَعديّة مساعدة:**

أ. التقويم والمراجعة النهائيّة:

لا بدّ عند التقويم النهائيّ من:

- قراءة النصّ قراءة متأنّية وضبط ما يجب ضبطه.
- التدقيق في التصنيف الموضوعيّ، وتوزيع الفقرات.
- التدقيق في صحّة الشواهد والنصوص.
- معرفة مدى مطابقة المضمون للأهداف.
- معرفة مدى مناسبة المضمون للزمان والمكان.

ب. إعداد هيكل الموضوع:

لا بدّ عند إعداد رسم مخطّط المضمون من:

- الاستفادة من العنونة الكلّيّة والجزئيّة.
- عدم التعقيد والتفريع المخلّ.
- كتابة عناوين الشواهد والنصوص.
- إبراز ما يجب التركيز فيه.

ت. التدرّب والاستعداد:

لا بدّ بعد إنهاء كلّ الخطوات من:

- الاستيعاب الشامل للأفكار: إنّ الاستيعاب الجيّد للعناصر الأساس والمضمون والأهداف والعناوين الفرعيّة يمنحك قدرة أفضل على تقديم الموضوع بصورة جيّدة.
- حفظ ما يجب حفظه.
- التدرّب على ما يجب التدرّب عليه، ولا سيّما في المراحل الأولى، أو عند الاستفادة من أساليب جديدة.
- الالتزام بقطار الأفكار المخطّطة.

المضمون والمخاطبون: حدّثوهم بما يعرفون

جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «**لا تُحدّثوا الناس بما لا يعرفون، أفتحبّون أن يُكذب الله ورسوله؟!**»[1].

وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أتُحِبُون أن يُكذَّب الله ورسوله؟ حدِّثوا الناس بما يعرفون، وأمسكوا عمّا يُنكرون**»[2].

والمقصود هو: الاجتناب عن طرح المعارف العالية والدقيقة الّتي لا تُطيقها أفهام الناس، وربّما اختلطت عليهم الحقائق بسبب ذلك فيضلّون أو يجحدون فيكون وزر ذلك على المبلِّغ الدِّينيّ.

إنّ أذهان عامّة الناس - مثلاً - لا تتحمّل الخوض في موضوع القضاء والقدر، ولهذا جاء النهي عن ذلك.

وإنّ أذهان عامّة الناس - مثلاً - لا تتحمّل الحديث عن كثير من الأمور الفلسفيّة فما هو المبرِّر للخوض فيها؟.

وربّما يكون شاهداً على ذلك ما جاء عن حمران حين سأل الإمام الباقر عليه السلام عن الأمور العظام من الرجعة وغيرها فقال عليه السلام: «**إنّ هذا الّذي تسألونني عنه لم يأت أوانه، قال الله تعالى** ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾»[3].

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «**خالطوا الناس بما يعرفون، ودعوهم ممّا ينكرون، ولا تحملوا على أنفسكم وعلينا، إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يتحمّله إلّا مَلك مقرّب، أو نبيّ مرسَل، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان**»[4].

وقد تكرّرت هذه التوصية عنهم عليهم السلام، الأمر الّذي يدلّنا إلى أهميّتها، والوقوف عندها. فهل المقصود مجاراة الناس في أفكارهم، وعدم التنبيه إلى أخطائهم؟

---

(1) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 2، ص 77.
(2) المصدر نفسه.
(3) سورة يونس، الآية 39.
(4) الشيخ الصدوق، الخصال، مصدر سابق، ج2، ص624.

وهل المقصود ترك الناس على ما هم عليه من المعرفة، فلا نضيف لهم علماً جديداً؟

طبعاً لا.. فإنّ مهمّة المبلِّغ الدِّينيّ هي إرشاد الناس إلى المعارف الحقّة، وإخراجهم من ظلمات الأفكار المنحرفة وتقويمهم إذا أخطأوا أو زلّوا، وبدون ذلك يكون المبلِّغ قد كتم البيّنات والعلم النافع، فقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «**من كتم علماً نافعاً ألجمه الله يوم القيامة بلجامٍ من نار**»[1].

ويكون قد سكت عن إظهار العلم، وتخلّف عن واجبه الّذي قال فيه رسول الله ﷺ: «**إذا ظهرت البدعة في أمّتي فليُظهر العالِم علمه، فإن لم يفعل فعليه لعنة الله**»[2].

إنّ القرآن الكريم وهو كتاب الله ورسالته إلى البشر برغم كلّ المعاني العليا الّتي جاء بها إلّا أنّه لم يأتِ بحديثٍ يُنكره الناس ولا يُطيقون فهمه، برغم أنّ العارفين يستطيعون أن يخوضوا في بطونه ويستنبطوا معانيه، إلّا أنّه كان لعموم الناس واضحاً، سهلاً، مفهوماً، لا لبس فيه.

هكذا يجب أن يكون حديث المبلِّغ الدِّينيّ.

وبهذا الاتّجاه جاءت الروايات الّتي توصي بالرفق في الحديث مع الناس، حتّى جاء عن الإمام الرضا عليه السلام حين شكا له تلميذه يونس بن عبد الرحمن ما يلقى من أصحابه من الوقيعة قوله عليه السلام: «**دَارِهِم فإنّ عقولهم لا تبلغ**»[3].

(1) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج2، ص 78.
(2) المصدر نفسه، ج2، ص 72.
(3) المصدر نفسه، ص 68.

المفاهيم الرئيسة

1. للمضمون التبليغيّ أهمّيّة قصوى في العمليّة التبليغيّة لكونه يُشكّل حلقة الوصل بين المبلِّغ والناس.
2. المضمون التبليغيّ هو المادّة الدِّينيّة الّتي يُعدّها المبلِّغ ليقدِّمها إلى الجمهور.
3. المضمون التبليغيّ هو العنصر الأهمّ في البناء الفكريّ والسلوكيّ للمسلم، ويُشكِّل ميزان صلاح المجتمع وفساده.
4. من أساليب ووسائل تبليغ المضمون الدِّينيّ:
   أ. مضامين تقدّم بالمشافهة وبشكل مباشر.
   ب. مضامين تقدّم بالكتابة.
5. من مشاكل إعداد المضمون التبليغيّ: التشويش الذهنيّ، التكرار، تداخل الأفكار، تعقيد الأفكار، خلط المهمّ مع غيره، سوء التعبير، كتابة المعلومات غير الصحيحة أو غير الأكيدة، الاعتماد على غير المسلَّمات، عدم الوصول إلى هدف الكتابة.
6. هناك مجموعة خطوات قبليّة في إعداد المضمون التبليغيّ مثل: معرفة نوع المناسبة، المكان والوقت، معرفة الجمهور بمستواه العلميّ واتّجاهاته وحجمه.
7. من ضوابط إعداد المضمون التبليغيّ:
   أ. ضوابط لها صلة بالمنهج.
   ب. ضوابط لها صلة بالأسلوب.
   ت. خطوات فنيّة ضروريّة.
8. الخطوات التفصيليّة في إعداد المضمون: المطالعة وتدوين رؤوس الأقلام والمختصرات، جمع المعلومات، تصنيفها وتنظيمها.
9. خطوات بعديّة في إعداد المضمون التبليغيّ: التقويم والمراجعة النهائية، إعداد هيكل الموضوع، التدرّب والاستعداد.
10. ضرورة تتنوّع الأساليب التبليغيّة بتنوّع شرائح المخاطبين.

الدرس السادس:

ضوابط المضمون التبليغيّ عند الإمام الخامنئيّ

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى ضوابط المضامين التبليغيّة عند الإمام الخامنئيّ.

2 . يبيّن الآثار السلبيّة للمضامين غير العميقة والمتقنة والمنطقية في التبليغ.

3 . يحرص على مراعاة الضوابط في المضامين التبليغيّة.

تمهيد

قال الإمام الخمينيّ قدس سره: ...إذا صلح رجل الدِّين صلح كلّ شيء وإذا فسد العالِم - لا سمح الله - فسد العالَم إنّ هذا هو الواقع. لقد كنت أذهب أيام الشباب إلى بعض البلاد في الصيف فكنت أرى أنّ الناس جميعاً طيّبون. ففي مدينة محلّات - الواقعة بالقرب من مدينة خمين - كنت أرى الناس طيّبين متديّنين. فبعد البحث كان الإنسان يدرك أنّ هناك عالماً طيّباً أو عدّة علماء طيّبين وكان الناس طيّبين تبعاً لطيبة هؤلاء. فأينما وجد العالِم الطيّب فإنّه يصلح الأمور - طبعاً العالِم العاقل المتديّن - وإذا حصل انحراف - لا سمح الله - في هذه الشريحة من الناس فسينتقل هذا الانحراف، فإنّ الناس ينظرون إلى هذه الفئة ماذا تعمل. لذلك فإنّ على عواتقنا مسؤوليّة كبيرة سواء في ذلك أئمّة الجُمَع والجماعات أو جميع علماء البلاد. فقد أتمّ الله حجّته. فإذا كنّا معذورين قبل عدّة سنوات لأنّنا كنّا لا نستطيع مواجهة الحراب فكلّ كلمة كانت تؤدّي إلى السجن وكانت لدينا هذه الأعذار لكنّها غير موجودة اليوم أي إنّ الله قد أتمّ حجّته علينا[1]...

وفي هذا الإطار لا بد من مراعاة مجموعة من الشروط والضوابط في العمل التبليغيّ، ولاسيما ما اقتبسناه من كلمات الإمام الخامنئيّ دام ظله.

شروط المضمون التبليغيّ وضوابطه

1. المضمون المتقن:

يجب أن يكون المضمون التبليغيّ متقناً قويّاً وليس ضعيفاً وركيكاً، بحيث ينهار

(1) الإمام الخميني، صحيفة الإمام (ترجمة عربية)، مصدر سابق، ج15، ص 416.

بأدنى انتقاد، ويمكن أن يكون محتوى الكلام سهلاً لكن يجب أن يكون متقناً، يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «ليكن عملكم محكماً منذ البداية، يعني سواء أكنتم معلّمين أو متعلّمين، لا تنطقوا بكلام واهن ولا تعربوا عن رأي ضعيف ولا تعتمدوا استدلالاً خاوياً. حتّى في المستويات المنخفضة، علينا أن نعلّم الشخص المنطق الصحيح الّذي يظلّ في ذهنه مقبولاً حتّى لو قوي عقله ونضج بالتجارب واتّسع بالمعلومات، فلا نقوم بتعليم المرء في الصفّ الأوّل كلاماً لا يقبله في الصفّ الخامس، فاثنان زائد اثنين يساوي أربعة. هذا الأمر تعلمونه في الصفّ الأوّل والثاني أيضاً. هذا ما تعلّمونه للطفل، وبعد عشرين سنة تظلّ النتيجة واحدة لهذا الشخص. كلّ ما في الأمر أنّنا في الصفّ الثاني نثبت له النتيجة باستدلال معيّن، وعندما يرتقي في المراحل الرياضيّة العليا نبرهن له الحقيقة والنتيجة نفسها ببرهان آخر.

وهكذا يجب تعليم معنى التوحيد والنبيّ والإسلام والقرآن والدين والقيم الإنسانيّة والأهداف الدِّينيّة. وبالطبع قد لا نستطيع تقديم دليل بسيط وواضح عن كثير من المفهومات والمعارف الإسلاميّة للعقول الابتدائيّة[1].

وفي جميع أشكال التبليغ الدِّينيّ هناك ضرورة ملحّة لإتقان الكلام وإحكامه. فالبلاغ الدينيّ سواء أكان على شكل خطابة أم كتاب أم صحيفة أم فيلم أم... يجب أن لا يكون ضعيفاً وخاوياً وقابلاً للنقد: لنلتفت إلى أنّ ما نقوله يجب أن يكون صحيحاً وقابلاً للدفاع عنه وإثباته، وينسحب ذلك على القضايا السياسية والقضايا الإسلاميّة، وكذا على الفيلم والمسرحيّة والشعر والخطابة والدرس العقائديّ وبقية الأمور»[2].

2. المضمون المنطقيّ والعميق:

إنّ الموضوعات الخاوية لا تفيد المجتمع ولو كانت جذّابة على المدى القصير، فالذهن الخلاّق للمجتمع لن يبقى راكداً وساكناً، ففي نهاية المطاف سيلتفت أفراد المجتمع إلى

(1) من خطاب لسماحته خلال لقائه طالبات المدرسة العلمية في مدينة «مسجد سليمان»، 1361/06/04هـ.ش.
(2) من خطاب لسماحته خلال لقائه أعضاء المجلس الأعلى للإعلام الإسلاميّ، 1361/12/24هـ.ش.

المضمون غير المنطقيّ لهذه الموضوعات ثمّ يبيّنون ذلك للآخرين، وفي هذه الحال تفقد الجاذبيّة الأولى قدرها ولن تتحقّق الفائدة المرجوّة.

والاستدلال الضعيف القابل للنقد - يعني عدم تصوير الواقع كما هو - من الأمور الّتي تلحق ضرراً بالمرء على المدى البعيد. بالطبع لـه جاذبيّته للوهلة الأولى، ولكنّنا لسنا في مرحلة نعمل فيها على المستوى القريب، فنحن في مرحلة تقتضي تخطيطاً وعملاً على المدى البعيد[1].

فينبغي للمبلِّغ الدِّينيّ عندما يتحدّث مع عامّة الناس أن لا يكون حديثه عاميّاً، فيلقي من الكلام ما يريد من دون ضابطة بذريعة أنّ المخاطَب أمّيّ أو شبه أمّيّ، وعليه في مثل هذه الأوساط أن يعتمد خطاباً بسيطاً، ففنّ التبليغ يتطلّب منه أن لا يخلط بين الكلام البسيط وبين التفكير السطحيّ، ولا إشكال في توجيه خطاب بسيط إذا كان المستمع من العامّة ومستواه منخفضاً، لكنّ بساطة الحديث لا تعني الخطأ في الحديث[2].

كما ينبغي للمبلِّغ الدينيّ أن لا يجعل الدِّين غطاءً لمنطقه أو خطابه الخاوي، وإن كانت العوامّ تستحسن ذلك المنطق أو الخطاب، كما ينبغي للمبلِّغ الدِّينيّ أن لا يُخضع خطابه لميل مخاطبه ومزاجه:

3. اجتناب الكلام المظنون:

يؤكّد الإمام الخامنئيّ ضرورة التوقّف عن الكلام الضعيف بغضّ النظر عن الشرائح المخاطبة أو البيئة المحيطة يقول: «اجتنبوا الكلام الضعيف والمعلومات المظنونة في القضايا الدِّينيّة، فلو كانت الفضاءات الذهنيّة لعوامّ الناس تتقبّل أمراً ما، لكنّه غير صحيح، فإيّاكم والخضوع لتلك الفضاءات، تطلقون تصريحات خاوية تحت غطاء الرأي الدِّينيّ»[3].

(1) من خطاب لسماحته خلال لقائه أعضاء المجلس الأعلى للإعلام الإسلامي، 1361/06/24 هـ ش.
(2) من خطاب لسماحته خلال لقائه مسؤولي التثقيف العقائدي-السياسي لحرس الثورة الإسلاميّة، 1363/03/03هـ.ش.
(3) المصدر نفسه.

لقد ضاعف إتقان المضمون التبليغيّ وإحكامه التكليف. ففي الظروف الراهنة الّتي يراقب فيها الأجانب أوساط العلماء الشيعة ويتربّصون بهم الدوائر، فإذا صدر عنهم أيّ كلامٍ خاوٍ استخدموه دليلاً ضدّهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يتعرّض مخاطبونا لهجوم ثقافيّ من قبل الأعداء، فأيّ ضعف وتراجع في مضمون الخطاب التبليغيّ الدينيّ تترتّب عليه نتائج إيجابيّة للأعداء ونجاح هجومهم الثقافيّ: «إنّ من يمارس الخطاب الدِّينيّ اليوم فعليه مراعاة بعض الأمور، فالتصريحات والخطابات توضع اليوم تحت مجهر الأعداء. وتتعرّض أذهان وأفكار مخاطبينا لهجوم الأعداء. فعلينا أن نحذر كثيراً. حتّى لو خاطبنا الأطفال فليكن خطابنا صحيحاً وقويّاً ومبرهنا»[1].

4. التعمّق والإتقان والتنمية:

يتحقّق الإتقان في التبليغ في ظلّ التفرّغ والمطالعة، ففي أيّ مستوىً من العلم والفضل كان المبلِّغ يجدر به أن يخصّص وقتاً مناسباً لتأهيل نفسه في مجال إحكام الخطاب وإتقانه: «ارتقاء المنبر يستدعي المطالعة. والمنبر من دون مطالعة معناه أنّنا نطرح على الناس همّنا وغمّنا، الأمر الّذي يستبطن أنّنا لا نهتمّ بالناس»[2].

على المبلِّغ الدِّينيّ أن يهتم بكيفيّة تبليغه, فالإكثار يمنعه من إتقان الكلام... ليجعل التفرّغ للمطالعة والبحث أصلاً في نشاطه ولو انعكس ذلك سلبياً على عدد الخطب أو المؤلّفات: لتكن الأقوال والتصريحات علميّة. اجتنبوا الهزيل من القول. ولا ترتقوا المنبر من دون مطالعة. اطّلعوا على آخر وأفضل الأقوال المتعلّقة بالقضايا الإسلاميّة. وقد يسفر ذلك عن تقليل خطاباتنا، لكن لا إشكال في ذلك، فهذه الوظيفة تحتّم على المرء لكي يتحدّث جيّداً أن يقلّل كلامه[3].

5. الإقناع على المدى الطويل:

يجب أن لا تتلاشى تأثيرات التبليغ الدِّينيّ بسرعة، كمن يحدث فقّاعات على سطح الماء

(1) من خطاب لسماحته في جمعٍ من علماء الدِّين في محافظة «جهار محال وبختياري»، 1371/07/15هـ.ش.
(2) من خطاب لسماحته خلال لقائه المسؤولين في منظّمة الإعلام الإسلاميّ, 1370/12/15هـ.ش.
(3) من خطاب لسماحته خلال لقائه أئمّة الجماعة وعلماء الدِّين والمبلّغين عشية شهر رمضان, 1371/11/25هـ.ش.

لا تلبث أن تختفي. فعلى المبلِّغ الدينيّ أن يسعى لإطالة مدى تأثيرات عمله أو يجعلها باقية، فيستوعب عقل المخاطَب وقلبه ويصوغ - استدلاليّاً - قناعاته، لا أن يصوغها حماسيّاً وفوضويّاً ويجعل ذلك برهاناً على صحّة عمله:

على مبلِّغنا - ذلك المرء الّذي يخاطب الناس - أن يتحدّث مع الناس بأمور تثري أذهانهم مدّة يُعتدّ بها، لا أن يتلاشى جهده التبليغيّ بكلمة أو بشعار أو بكتيّب. فالمشكلة تكمن في أنّنا نوصل - أحياناً - المفاهيم إلى أذهان الناس بطريقة طوباويّة، فيأتي الآخرون - ومن دون ضجيج - ليمحوا كلّ ما أوصلناه! إنّها مشكلتنا الكبيرة حتّى الآن.

إنّ ما نريد إقراره في الأذهان يجب أن يُقرّ بطريقة تمكّنه من البقاء في الذهن مدّة من الزمن – خمس سنوات أو عشر - ولا أقول يجب أن يظلّ إلى آخر العمر، باعتبار أنّ ذهن الإنسان ينمو، وتنبثق منه تساؤلات جديدة[1].

6. مواكبة مقتضيات الزمان:

يجب أن لا يدور المضمون التبليغيّ في فراغٍ وخارج زمانه، وكأنّه مجرّدات عقليّة لا صلة لها بحاجات المجتمع، فليتّخذ المبلِّغ الدينيّ مقتضيات الزمان معياراً لمطالعاته وخياراته، ويطابق خطابه معها: ارجعوا وانظروا، ما هي متطلّبات العصر وما هي احتياجات الناس؟ واستنبطوا ذلك من الشرع الإسلاميّ المقدّس... نضّجوه وهيّئوه، ثم قدّموه طازجاً للناس[2].

المبلّغ الواعي يدرك المتطلّبات الآنية ويشخّصها ويلبّيها وفق التكليف الدينيّ، فيبذل كلّ جهوده لكي لا يتخلّف عن أداء تكليفه في الإجابة عن تساؤلات العصر.

والحكمة في أنّ المرء يؤدّي عمله في الظرف المناسب وأن يعرف زمانه... حكمة هذا الرجل - سماحة الإمام الخمينيّ قدس سره - تجلّت في إدراكه الدائم لمتطلّبات كلّ لحظة، وذلك لأنّ هذا الأمر مهمّ جدّاً، لأنّه يستدعي:

(1) من خطاب لسماحته خلال لقائه أعضاء المجلس الأعلى للإعلام الإسلاميّ, 1361/12/24هـ.ش.
(2) من خطاب لسماحته خلال لقائه علماء الدِّين في «رفسنجان», 1361/2/7هـ.ش.

- إدراكاً واستعداداً، ونظراً ثاقباً.
- و شجاعة وشهامة.

يعني أنّه يقوم بالعمل في الوقت الّذي لا يقدم فيه الآخرون على هذا العمل[1].

و»إنّ المجتمع يهتمّ بالمبلّغين في ظلّ إدراكهم لوضع المجتمع وحركية العصر. والمبلِّغ الناجح هو الّذي يواكب خطابه مشاكل المخاطَبين والإشكالات الدِّينيّة المعاصرة، فيوضّح الإجابات عن الإشكاليّات ويحلّ المشاكل. فهو لا يخاطب موجودات فضائيّة مجهولة، وإنّما يوجّه خطابه لإنسان يعيش على الأرض، فعليه أن يعرف آلامه ويواسيه في أحزانه ويقدّم الإجابات الشافية لكلّ تساؤلاته:

كان في إيران نوعان من الخطباء: أحدهما: الخطيب الّذي لا يهتمّ أحد بحديثه، لأنّه لا يتناول في حديثه أموراً مرتبطة بعصره. والآخر: الخطيب الّذي يزدحم الناس - وبخاصّة الشباب - حوله للاستماع إليه. فكلّ من باع الحلوى كثرت زبائنه. ما الفرق بينهما؟ أفي قوّة البيان وضعفه؟ أم في رخامة الصوت؟ أم في الرشاقة والشكل؟

إنّ جميع الناس في هذا الطراز أو في ذاك، لكنّ الفرق يكمن في أنّ ضآلة عدد المستمعين تعود إلى أنّ الخطيب لا يفهم مقتضيات العصر ويتطرّق إلى أمور أخرى، فالناس كانوا متعطّشين لمجموعة من المفاهيم الإسلاميّة الّتي لا يتناولها هؤلاء أو لا يجرؤون على التحدّث بها، أو إنّ عقولهم لا تصل إليها، لكنّهم لسبب أو لآخر لا يعتبرونها ضروريّة»[2].

7. مراعاة الاعتدال:

لا بدّ للمبلِّغ الدِّينيّ من معرفة الدِّين جيّداً ليبلِّغه للناس، متحاشياً الإفراط والتفريط. فلا يستند إلى جانب من الدِّين وينسى أبعاداً أخرى منه، فالدِّين في شكله الجامع أساس للسعادة الإنسانيّة. لكنّ الإفراط في التركيز في أحد أبعاد الدِّين يعكس صورة كاريكاتوريّة

(1) من خطاب لسماحته خلال لقائه علماء الدِّين في «رفسنجان», 1361/2/7هـ.ش.
(2) من خطاب لسماحته خلال لقائه علماء الدِّين في «رفسنجان»، 1361/02/07 هـ ش.

ومزيّفة عنه وتترتّب مخاطر على الوضع الدِّينيّ للمجتمع. وقد أشار سماحة القائد دام ظله إلى الإفراط والتفريط في أحد أبعاد الدِّين بقوله:

عليكم بمراعاة الاعتدال. والاعتدال يعني تفادي الإفراط في أيّ اتّجاه كان، فبعض الخطباء يفرّطون إمّا في الجهات الأخلاقيّة أو الجهات السياسيّة. لا فرق أيّاً كانت الجهة، فالإفراط مذموم في كلّ الأحوال. بالطبع أكثر ما يحتاج إليه الناس هو الأخلاقيّات، فنحن بحاجة إلى ثورة أخلاقيّة، لكن لا يكون الأمر بحيث إذا تناولنا القضايا الأخلاقيّة، أو قرأنا على الناس حديثاً، أغفلنا تماماً القضايا الراهنة والقضايا الثوريّة، وقضايا العالم، وقضايا الحياة...

وكما ذكرت، فبعضٌ يرتقي المنبر، لكنّ السامع يظنّ أنّه لم تحدث ثورة في هذا البلد! هذا إفراط في جانب، والإفراط في الجانب السياسيّ خاطئ أيضاً، فبعضٌ يخصّص كلّ خطبته من بدايتها إلى نهايتها للأمور السياسيّة، و لا نجد عبارة في الأخلاق والنصيحة والتهذيب والأحكام[1].

8. مراعاة الأولويّة:

لا بدّ من مراعاة الأهمّ ثمّ المهمّ في مضمون الكلام، فلا نكتفي بصحّة الموضوع وحسنه، فالتبليغ يجب أن يتطابق مع الحاجات الفوريّة والأوليّة للمخاطبين. فعلى المبلِّغ الدِّينيّ أن يعتبر نفسه كالطبيب العالم والحكيم العاقل، فيتمعّن بعمق في مريضه ليشخّص داءه، ثمّ يصنّف أمراضه فيبدأ بعلاج الأمراض الخطيرة والمميتة، ولا ينشغل بالآلام الخفيفة والأمراض البسيطة: علينا أن نتحدّث بالأهمّ، فقد يكون الموضوع جيّداً جدّاً لكنّه غير مهمّ، إذا كان شخص بحاجة إلى من ينقذ حياته، فهل من الصحيح أن تحدّثوه -مثلاً- عن العناية بنظافة الفم والأسنان؟

إنّ نظافة الفم والأسنان أمر ضروريّ، لكنّ هذا الشخص يعاني مرضاً قاتلاً. اهتمّوا بالقضايا ذات الأهمّيّة، والأهمّ هو الّذي يجب أن يقال[2].

(1) من خطاب لسماحته خلال لقائه أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في «مشهد»، 1369/01/14هـ.ش.
(2) من خطاب لسماحته خلال لقائه علماء الدِّين عشية شهر رمضان, 1373/11/15هـ.ش.

لمعرفة القضايا الأهمّ لا بدّ من التأمّل والتمعّن، وإدراك القضايا، والذكاء، والنظرة الثاقبة، وتخصيص وقت مناسب، لأنّ قضايا المجتمع الفكريّة في تغيّر دائم، والتساؤلات الّتي تفرزها حركيّة الحياة تظلّ تلحُّ مطالبة بالإجابات:

الأهمّ هو الّذي يجب أن يقال... عليكم أن تبحثوا عمّا يدور في ذهن الشباب من تساؤل بحيث إن لم تتّضح الإجابة عنه فقد يؤدّي ذلك إلى الانحراف، ما هو هذا السؤال؟ عليكم أن تبحثوا عنه وتجدوه.

الجزء الصعب في القضيّة يتمثّل في ديمومة السعي للعثور على تلك الأسئلة الّتي تدور في الأذهان، فالأسئلة ليست دائماً من نمطٍ واحد، ففي الأيّام الّتي كنّا فيها في مقدّمة النشاط التبليغيّ ونبذل جهوداً ضخمة في هذا الطريق، لم تكن القضايا المطروحة آنذاك تشبه ما هو موجود الآن، آنذاك كان علينا أن نفهم الاشتراكية العلميّة والماديّة التاريخيّة لنردّ عليهما، في ذلك الوقت كانت هذه المسائل تشغل أذهان غالبيّة شبابنا الجامعيّين وغيرهم حتّى بعض التجّار والكسبة, لكن اليوم توجد قضايا أخرى.

هل تريدون أن تبقى هذه القضايا؟ هل تريدون أن يبقى فراغٌ في أذهان بناتنا ونسائنا وأبنائنا ورجالنا ليملأه العدوّ كيفما يشاء؟

إن لم ترغبوا في ذلك عليكم أن تحدّدوا الفراغ. ثمّة حاجة إلى أجهزة متخصّصة للتفكير في هذا الأمر[1].

9. تحاشي التكفير:

لا بدّ للمبلِّغ الدينيّ من أن يعتمد أسلوب التحاور اللّين، ويتحاشى التكفير والاتّهام. إنّ تكفير الآخرين لا يحلّ المشاكل بل يكرّسها ويضاعفها، ويُضفي طابع المظلوميّة والبراءة على الأفكار المسمومة، فيضعها وسط هالة زائفة من القدسيّة فيتجمّع حولها الأنصار والمؤمنون بها.

وللأسف كان لظهور وتنامي الفرق الضالّة في تاريخ بلدنا ارتباط بهذا النمط من

(1) من خطاب لسماحته خلال لقائه علماء الدِّين عشية شهر رمضان، 1373/11/15 هـ ش.

التعامل، فكلّما حلّ التكفير محلّ المنطق وقعت مخاطر عظيمة. والتجربة التاريخيّة عبرة لمبلِّغينا:

ارتكبنا - نحن المعمّمين وعلماء الدِّين - طوال التاريخ أخطاءً كبيرة في نقد بعضنا بعضاً، فقد تصوّرنا أنّ النزاع والإبعاد وأحياناً التكفير بمقدوره أن يجتثّ جذور الأفكار الخاطئة من المجتمع، بينما هذا أمر خاطئ.

لماذا استقرّت الأفكار الخاطئة للفرق الضالّة في عقول كثير من الناس وما زالت حتّى الآن؟ السبب يكمن في أنّ التعامل معها لم يكن منطقيّاً واستدلاليّاً، وإنّما كان تعاملاً فظّاً، وحسب.

هذا التفكير الالتقاطيّ موجود في مجتمعنا، إلاّ أنّ الردّ عليه ليس في العصا والشجار والإبعاد والتكفير والتفسيق، بل في العمل الصحيح[1].

وتزداد أهمّيّة هذا الأمر في عصر الحكومة الدِّينيّة، ففي عصر الانزواء لم تكن أنظار العدوّ متوجّهة للحوزة مثلما هي الآن لأنّها كانت بعيدة عن الحكم، أمّا الآن فيوجد ارتباط وثيق بين الدِّين والحكومة، لذلك فإنّ تداعيات التكفير والتفسيق السيّئة ستبدو مضاعفة. في عصرنا هذا يمكن بسهولة اعتبار التكفير والتفسيق دليلاً على عدم منطقيّة الحكومة والدِّين، فيجري تصوير الدِّين القائم على الحكمة والمنطق على أنّه دين قمعيّ وإرهابيّ، الأمر الّذي يساعد على الانفصال عن الدِّين أو التشكيك في أركانه.

الالتفات إلى هذه النقاط يقتضي من المبلِّغين أن يردّوا على الأفكار المنحرفة بالمنطق والنتاجات الفكريّة الغزيرة:

«المجابهة يجب أن تتناسب مع المصلحة والحكمة، فاليوم ليس كالأمس. ففي السابق إذا تكلّم شخص ولم يكن بإمكاننا أن نقوم بأيّ عمل، كنّا نصرخ أو نعلن البراءة منه، أو نكفّره أو نفسّقه إذا كان كلامه في حدود الكفر أو الفسق، أمّا اليوم فلا حاجة لهذه الأمور ويجب تجنّب هذه الممارسات، فإنّها تضرّ بالمجتمع الإسلاميّ»[2].

(1) من خطاب لسماحته خلال لقائه علماء الدِّين في زنجان، 1364/08/29هـ.ش.

(2) من خطاب لسماحته خلال لقائه أعضاء مجلس الخبراء، 1371/11/29هـ.ش.

المفاهيم الرئيسة

1. من ضوابط المضمون التبليغيّ إجمالاً: الكلام المتقن، الإقناع على المدى الطويل، مواكبة مقتضيات الزمان، مراعاة الاعتدال، مراعاة الأولويّة، تحاشي التكفير.
2. على المبلِّغ الدِّينيّ أن يهتمّ بكيفيّة تبليغه, ويسعى إلى تحقيق الإتقان في عمله التبليغيّ.
3. على المبلِّغ الدينيّ أن يسعى لإطالة مدى تأثيرات عمله أو يجعلها باقية، فيستوعب عقل المخاطَب وقلبه ويصنع قناعاته.
4. على المبلِّغ الدِّينيّ أن يعتبر نفسه كالطبيب العالم والحكيم العاقل، فيتمعّن بعمق في مريضه ليشخّص داءه.
5. لا بدّ للمبلِّغ الدِّينيّ من معرفة الدِّين جيّداً ليبلِّغه للناس، متحاشياً الإفراط والتفريط.
6. لا بدّ للمبلِّغ الدينيّ من أن يتحاشى التكفير والاتّهام للآخرين.

الدرس السابع:

أساليب التبليغ - 1 -

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى خصائص المضامين التبليغية.

2 . يبيّن أهمّيّة تطوير أساليب التبليغ وتنوّعها.

3 . يتعرّف إلى أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة في القرآن.

تمهيد

لكلّ دعوة جانبان، جانب المعاني والمضامين، وهو الّذي يشمل قضايا الدعوة ومبادئها وأهدافها، وجانب الأساليب والعبارات، وهو الّذي تصاغ فيه هذه المعاني.

ولكلّ من الجانبين خصائصه الّتي تميّزه عن الآخر. فمن خصائص الدعوة الإسلاميّة صدقها، وشمولها، وحيويّتها... ومن خصائص أساليبها: الوضوح والبيان، والحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالّتي هي أحسن...، ولقد عني العلماء بدراسة أساليب الدعوة والتبليغ. ومن هذه الدراسة تقسيمهم هذه الأساليب إلى خبريّة، وإنشائيّة، وجدليّة، وبرهانيّة، وقصصيّة.. إلى آخر هذه التقسيمات الّتي حفلت بها كتبهم قديماً وحديثاً. وهي تقسيمات تدور حول الألفاظ، والجمل، والتراكيب اللغويّة والأدبيّة.

التبليغ بين الصور التقليديّة والمستحدثة

قد ينغلق بعض الناس على الصور التبليغيّة التقليديّة الموروثة ولا ينفتح على المناهج المستحدثة في التبليغ. فما هو التصوّر الإسلاميّ حول هذا الموضوع؟

لا شكَّ في أنّنا حينما نفكّر بالانفتاح على المناهج الحديثة في الإعلام والتبليغ لا نريد إهمال المناهج القديمة والمتعارفة؛ كأسلوب الحديث المباشر الفرديّ والجماعيّ، أو أسلوب التأليف والتدوين، أو أسلوب الشعر، إنّما نريد أن نوسّع دائرة المناهج والأساليب التبليغيّة لتشمل كتابة القصّة، والرواية، والمسرحيّة، والرسوم التقليديّة والرمزيّة، والحكاية، وغيرها ممّا استُحدث في عالمنا المعاصر عبر مختلف الأجهزة كالراديو، والتلفزيون، والفيديو، والإنترنت، وما شاكل.

لعلّ هذه المناهج الحديثة غير مألوفة لدينا، ولا نعرف عنها في ممارسات الأنبياء والأئمّة والصالحين من أسلافنا، ولعلّها غير متاحة لدى الكثير خاصّة في ظروف ما قبل تأسيس الدولة الإسلاميّة حيث كانت الأجهزة المستحدثة في العادة بيد السلطات المنحرفة ولم يكن لرجال الإسلام منها نصيب كبير. وقد تكون أخذت موقعها في أوساطنا، حتى في طرائق تفكيرنا وتخطيطنا للعمل التبليغيّ، إلا أنّنا اليوم بحاجة إلى إعادة نظر في مناهج التبليغ بين الانغلاق على الحالة التقليديّة وبين الانفتاح على السُبل الحديثة.

وإن النظريّة الإسلاميّة لم تحصر العمل التبليغيّ بمنهج واحد، بل دعت لاستخدام كلّ أسلوب يتيح فرصة النفوذ إلى قلب الطرف الآخر والتأثير فيه، شريطة أن يكون بعيداً عن مناهج الاحتيال كالسحر، والشعوذة، والأكاذيب، والخداع...، يقول الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[1]. و«**الحكمة**» و«**الموعظة**» في هذه الآية الكريمة ليست محدّدة بصورة تبليغيّة دون أخرى، وإن كانت تنصرف إلى أسلوب الحديث المباشر والمشافهة الكلاميّة، إلّا أنّ هذا الانصراف لا يضيّق مفهوم الكلمة.

ومن هنا نجد أن الأنبياء عليهم السلام توسّعوا في الممارسة التبليغيّة إلى كلّ طريقة متّبعة يومئذ، فلم يقتصر أسلوبهم على الموعظة الكلاميّة، وإنّما شمل أسلوب الشعر كما نجده في شعر حسّان بن ثابت بتوجيه من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، واستخدموا الموعظة العمليّة كما في قصّة إبراهيم عليه السلام وتكسيره للأصنام ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ﴾[2]. واستخدموا المنهج الإعجازيّ في مقابل أباطيل السحرة كما في قصّة موسى عليه السلام مع سحرة فرعون حيث ألقى عصاه لتلقّف ما صنعوا.

كما أنّ القرآن الكريم استخدم بشكل واضح ومكثّف أسلوب «**القصّة**» وأسلوب «**التمثيل**»، ما دام ذلك يؤدّي إلى هداية الناس، مهما كان محتوى القصّة، أو نوع المثل قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ...﴾[3].

(1) سورة النحل، الآية 125.
(2) سورة الأنبياء، الآيتان 62-63.
(3) سورة البقرة، الآية 26.

وعلى هذا الأساس ينبغي أن يعمل المبلِّغ على التعرُّف الدائم إلى الأساليب والوسائل والطرائق المتنوّعة لتقديم المضمون التبليغيّ، والاستفادة القصوى من التقنيات الحديثة، كلّ ذلك بغية إيصال المضامين التبليغيّة إلى أكبر شريحة ممكنة ونشرها.

ما هو أسلوب التبليغ؟

المراد بأسلوب التبليغ هنا ما بُلّغت به أوامر الله تعالى وإرشاداته إلى المدعوّين, وهو لا يخرج عمّا جاء به القرآن الكريم والسنّة النبويّة المطهّرة. والأسلوب يجمع على أساليب «**وهو الطريق، والوجه، والمذهب،... وهو الفنّ: يقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه**»[1].

والأسلوب والكلام الأحسن هو كلام الله تعالى الّذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾[2].

ولقد أخذت أساليب القرآن وكلامه بنفوس الكفرة، وهم أرباب القول، وفحول البيان، فأعجبوا بها، وافتتنوا بجمالها، وشهدوا لها برغم عداوتهم للإسلام وبقائهم على الشرك. رُويَ أنّ الوليد قال لبني مخزوم: «**والله لقد سمعت من محمّد ﷺ آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجنّ، إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وإنّه ليعلو وما يُعلى**»[3].

خصائص هذه الأساليب

لم تصطدم أساليب الدعوة في القرآن على تعدّد صورها وألوانها بالعلم قديمه وحديثه، العلم الصحيح القائم على المنطق السليم. وإنّ ما في أحدث نظريّات العلم من حقائق عن الكون ومظاهر الحياة المادّيّة والإنسان، والحيوان والنبات لا يتناقض مع ما في القرآن الكريم من الحقائق والمعاني العميقة التي ما زالت تؤيّد العلم في اتّجاهاته السليمة، واكتشافاته لمظاهر الكون لمعرفة أسراره.

---

(1) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، إيران - قم، 1405ه، لا.ط، ج 1، ص 473.
(2) سورة الزمر، الآية 23.
(3) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 18، ص 168.

وهذه الأساليب - فضلاً عن تأديتها مهامّ العبادات والتكاليف والأحكام الشرعيّة - هي أساليب جماليّة ونصوص أدبيّة إمتاعيّة، تقوّم اللسان، وتعلّم البيان، وترقّق المشاعر.. وكلّما قرئت اطمأنّت بها النفوس، واقشعرّت منها الجلود خشية لله وخضوعاً لعظمته: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1]، ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ...﴾[2].

ومن مقوّمات هذه الأساليب أنّها قامت:

على الحقّ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ...﴾[3].

وعلى الصدق: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[4].

وعلى الوضوح والإبانة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[5].

وعلى اليسر: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[6].

وعلى الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالّتي هي أحسن: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ...﴾[7].

وهي أساليب لا باطل فيها: ﴿... لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ...﴾[8].

ولا كذب: ﴿... مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ...﴾[9].

ولا خيال: وهو ما يقوم عليه شعر الشعراء، وفنّ الأدباء، وغيرهما ممّا يبعد عن الحقيقة ويضرب في أودية الوهم والخرافة ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝٢٢٤ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝٢٢٥ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۝٢٢٦ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾[10].

---

(1) سورة الرعد، الآية 28.
(2) سورة الزمر، الآية 23.
(3) سورة السجدة، الآية 2.
(4) سورة النساء، الآية 122.
(5) سورة النساء، الآية 174.
(6) سورة القمر، الآية 17.
(7) سورة النحل، الآية 125.
(8) سورة فصلت، الآية 42.
(9) سورة يوسف، الآية 111.
(10) سورة الشعراء، الآيات 224 - 227.

ولن يدخل في هذا الخيال ما اشتملت عليه هذه الأساليب من تشبيهات وتراكيب بلاغيّة؛ لأنّ هذه وإن احتوت على ضروب من التصويرات فإنّما هي لتقريب المعنى وإبرازه في صورة المحسوس، وكشفه، وتوضيحه وإظهار الحقيقة من دون زيادة أو نقصان, ومن دون أيّ معنى خرافيّ أو أسطوريّ، لأنّ كلام الله عزّ وجلّ منزّه عن ذلك ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[1].

وهي أساليب هداية حقيقيّة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتدعو إلى المثل العليا والحياة الطيّبة في أسمى صورها وغاياتها. إنّها شفاء للناس، ورحمة للعالمين. ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ...﴾[2]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾[3].

من أساليب التبليغ في القرآن الكريم[4]

1. أسلوب التدرّج: نموذج: تحريم الخمر في القرآن الكريم

- **الخطوة الأولى:** قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ...﴾[5].
- **الخطوة الثانية:** قال الله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ...﴾[6].
- **الخطوة الثالثة والنهائية:** قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ...﴾[7].

---

(1) سورة الفرقان، الآيتان 5-6.
(2) سورة الإسراء، الآية 9.
(3) سورة الإسراء، الآية 82.
(4) بناءً على بعض التفسيرات لهذه الآيات.
(5) سورة النساء، الآية 43.
(6) سورة البقرة، الآية 219.
(7) سورة المائدة، الآيات 90-92.

2. أسلوب المجادلة في القرآن:

يرى الشيخ الطوسيّ رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره «**التبيان**» أنّ «**حقيقة المجادلة المقابلة بما يفتل الخصم من مذهبه بالحجّة أو شبهه، وهو من الجدل لشدّة الفتل، ويقال للصقر أجدل لأنّه أشدّ الطير**»[1].

ويرى الراغب الأصفهانيّ: «**الجدال المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله.. فكأنّ المتجادلين يفتل كلّ واحد الآخر عن رأيه**»[2].

ويقول الطريحيّ: «**وهو اللّدّ في الخصام وهي مقابلة الحجّة بالحجّة**»[3].

ورد ذكر الجدال في القرآن الكريم في ثلاثين موضعاً ضمن عدّة سياقات وعدّة استعمالات ومعانٍ، منها:

تارة ينهى الله تعالى عنه في مواضع محدّدة: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾[4].

وتارة يريد به الجدال بالباطل لدحض الحقّ:

﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾[5].

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[6].

وتارة أخرى يشير إلى اتّهام الكفّار للأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ به: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[7].

ومرّة يستعمله في الدفاع عن النفس: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[8].

---

(1) الطوسّي، الشيخ محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي، لا.م، 1409ه، ط1، ج5، ص477.

(2) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ص189.

(3) الشيخ فخر الدين الطريحي، تفسير غريب القرآن، تحقيق وتعليق محمد كاظم الطريحي، انتشارات زاهدي، إسران - قم، لا.ت، لا.ط، ص 450.

(4) سورة البقرة، الآية 197.

(5) سورة الكهف، الآية 56.

(6) سورة غافر، الآية 4.

(7) سورة هود، الآية 32.

(8) سورة النحل، الآية 111.

﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[1].

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[2].

ويشير إليه كصفة عامّة للإنسان: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾[3].

ويستعمله بمعنى المحاورة والمراجعة ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾[4].

ويظهر من هذه الآيات القرآنيّة المباركة أنّ للفظ «**الجدال**» معاني متعدِّدة، ويشمل كلّ أنواع الحديث والكلام الحاصل بين طرفين، سواء كان إيجابيّاً أم سلبيّاً. وهذا يقودنا إلى تقسيم الجدال إلى قسمين أساسين.

أ. **الجدال الإيجابيّ:** إنّ البحث والكلام والاستدلال والمناقشة لأقوال الآخرين، إذا كان لإحقاق الحقّ وإبانة الطريق وإرشاد الجاهل، فهو عمل مطلوب يستحقّ التقدير, وقد يندرج أحياناً في الواجبات, فالقرآن لم يعارض قطّ البحث والنقاش الاستدلاليّ والموضوعيّ الّذي يستهدف إظهار الحقّ، بل حثّ على ذلك في العديد من الآيات القرآنيّة. وفي مواقف معيّنة طالب القرآن الكريم المعارضين بالإتيان بالدليل والبرهان فقال: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[5]. وفي المواقف الّتي كانت تتطلّب إظهار البرهان والدليل ذكر القرآن أدلّة مختلفة.

نماذج من الجدال الإيجابيّ:

لقد قدّم الأنبياء عليهم السلام نماذج رائعة في الجدال الإيجابيّ الّذي يهدف إلى الدعوة إلى الله، ويمتزج بالعاطفة والحبّ والرأفة، منها ما ورد في آخر سورة «**يس**» حين جاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يمسك بيده عظماً وسأله كما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ

(1) سورة النحل، الآية 125.
(2) سورة العنكبوت، الآية 46.
(3) سورة الكهف، الآية 54.
(4) سورة المجادلة، الآية 1.
(5) سورة البقرة، الآية 111.

مَرَّةٍۢ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَ لَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1]، فذكر القرآن الكريم عدداً من الأدلّة على لسان النبيّ ﷺ في المعاد وقدرة الخالق على إحياء الموتى.

ومنها ما في كلام النبي إبراهيم عليه السلام وأدلّته القاطعة أمام النمرود: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

ب. **الجدال السلبيّ:** وفي المقابل نجد أنّ أغلب الإشارات القرآنية حول المجادلة تشير إلى النوع السلبيّ منها، حيث كان الكفّار يواجهون أنبياءهم ويطمسون الهداية عبر الجدال بالباطل والتمسّك بالآراء الفاسدة الموروثة أو المبتناة على الحجج الواهية.

وقد ذمّ القرآن الكريم هذا الجدال في كثير من الآيات.

ويذكر القرآن الكريم نماذج من مجادلات أهل الباطل لإثبات دعاواهم الباطلة من خلال استخدام المغالطات الكلاميّة والحجج الواهية لإبطال الحقّ:

- إنكارهم البعث وإحياء الموتى متذرّعين بحجج واهية، قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[3]. ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾[4].
- لكون الأنبياء من البشر: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾[5].

(1) سورة يس، الآيات 78-82.
(2) سورة البقرة، الآية 258.
(3) سورة الإسراء، الآية 49.
(4) سورة المؤمنون، الآيتان 35-36.
(5) سورة المؤمنون، الآيتان 33-34.

لذلك رفضوا الاستجابة للأنبياء وكذّبوهم ووصلوا إلى النتيجة التالية: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾[1]. وغيرها من المجادلات الّتي نقلها القرآن الكريم، وردّ عليها بأبلغ بيان.

3. أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة:

أ. الحكمة تعني:

العلم والمنطق والاستدلال، فأوّل خطوة على طريق الدعوة إلى الحقّ هي التمكّن من الاستدلال وفق المنطق السليم. والهدف هو تحريك العقول، والنفوذ إلى داخل فكر الناس. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2]. وفسرّ الإمام الكاظم عليه السلام الحكمة في آية: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ لهشام بن الحكم بالفهم والعقل[3].

وعرّفها الراغب بقوله: «**الحكمة إصابة الحقّ بالعلم والعقل. فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات...**»[4].

ب. ما المراد بالموعظة الحسنة؟

الموعظة[5] هي الخطوة الثانية في طريق الدعوة إلى الله تعالى،بالاستفادة من عمليّة

---

(1) سورة المؤمنون، الآية 38.

(2) سورة البقرة، الآية 269.

(3) انظر: الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج 1، ص 16.

(4) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ص 249.

(5) تطبيق: الموعظة في نهج البلاغة: الموعظة من أهم أبواب نهج البلاغة: إنّ 86 خطبة من مجموع 240 خطبة من نهج البلاغة، خطب موعظة أو فيها موعظة. منها ثلاث خطب طويلة تختصّ بالموعظة: هي الخطبة 174 الّتي تبتدئ بقوله عليه السلام: انتفعوا ببيان الله... والخطبة القاصعة 192، وخطبة المتّقين 193. وإنّ 25 كتاباً من مجموع 80 كتاباً من نهج البلاغة، كتب مواعظ أو فيها موعظة، ثلاث منها أيضاً كتب طويلة تختصّ بالموعظة: هي الكتاب: 31 إلى ولده الإمام الحسن عليه السلام أو محمّد بن الحنفية - كما في ابن ميثم البحرانيّ وتحف العقول - وعهده إلى مالك الأشتر النخعيّ حينما ولّاه مصر، والكتاب 45 إلى عثمان بن حنيف الأنصاريّ واليه على البصرة.

مواضيع وعظه عليه السلام: إنّ مواضيع وعظه عليه السلام مختلفة ومتنوّعة، مثل:التقوى، والتوكّل، والصبر، والزهد، والتحذير من الاغترار بالدنيا، ورفاهية العيش، وهوى النفس، وطول الأمل، والعصبيّة للعصبة، والظلم والجور، والتفرقة، والترغيب في الإحسان، والمحبّة، والأخذ بيد المظلومين، وحماية الضعفاء والمساكين، والاستقامة، والقوّة والفتوّة والمروءة، والشجاعة والبسالة والبطولة، والوحدة، والعبرة، والفكرة، والمحاسبة، والمراقبة، واغتنام العمر، وتذكّر الموت وشدائده وسكراته، وما بعده، وأهوال القيامة..

تحريك الوجدان الإنسانيّ، وذلك لما للموعظة الحسنة من أثر فاعل على عاطفة الإنسان وأحاسيسه، ومعناها:

«**النصح والتذكير بالعواقب. وقال ابن سيده:هو تذكيرك للإنسان بما يليّن قلبه من ثواب وعقاب**»[1].

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**المواعظ صقال النفوس، وجلاء القلوب**»[2].

ت.ما المراد بالمجادلة بالّتي هي أحسن؟

قال الشيخ الطوسيّ: الجدال بالّتي هي أحسن: «**فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج**»[3].

أو هو أنْ يجادلهم على ما قد يحتملونه، كما جاء في الحديث: « **أُمرنا معاشر الأنبياء أن نكلّم الناس على قدر عقولهم**»[4].

ويرى العلّامة الطباطبائيّ: أنّه «**الحجّة الّتي تُستعمل لفتل الخصم عمّا يصرّ عليه وينازع فيه من غير أن يريد به ظهور الحقّ، بالمواخذة عليه من طريق ما يتسلّمه هو والناس أو يتسلّمه هو وحده في قوله أو حجّته**»[5].

ث.الفرق بين الحكمة والموعظة:

الحكمة يراد بها التعليم والإرشاد والنصيحة، أمّا الموعظة فيراد بها التذكير وإلفات نظر من يعرف ويعلم ولكنّه في غفلة أو تغافل أو تجاهل ما يعرف.

الحكمة يراد بها مكافحة الجهل، والموعظة يراد بها مكافحة الغفلة والتغافل.

فالحكمة فكرة وتعقّل، أمّا الموعظة فهي لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ.

الحكمة تزيد الإنسان وجداناً ذهنيّاً، أمّا الموعظة فهي توقظ الذهن للاستفادة من الوجدان.

الحكمة مصباح وسراج، أمّا الموعظة فهي إلفات النظر إلى ذلك الضياء.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج7، ص 466.

(2) التميمي الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، مصدر سابق، ص72.

(3) الشيخ الطوسّي، التبيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج 6، ص 440.

(4) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 1، ص 85.

(5) العلامة الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج 12، ص 371.

الحكمة للفكرة، والموعظة للتفكّر.

الحكمة ترجمان العقل، والموعظة ترجمان الروح والأحاسيس والعواطف.

من أين نأخذ الحكمة والموعظة؟

يُفرّق بين الحكمة والموعظة الحسنة أيضاً: بأنّ لشخصيّة الواعظ - الّذي تتوفّر فيه صفات خاصّة كالتديّن والإخلاص - في الموعظة دوراً بارزاً، أمّا الحكمة فهي «**ضالّة المؤمن يأخذها حيث وجدها**»[1] ولو من فم فاسق أو فاجر أو غادر أو خاسر أو كافر!

الحكمة جوهرة يأخذها المؤمن أينما وجدها ولو في فم كلب أو سبع! ففي الحكمة لا مانع من اختلاف الأرواح بين الناطق بها والسامع.

أمّا في الموعظة فلا بدّ من ارتباط بينهما واتّصال، وحينئذ يكون كما قيل: «**ما خرج من القلب دخل في القلب، وما خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان**».

تنوّع الأساليب التبليغيّة

يجب تنويع الأساليب التبليغيّة بتنوّع الهدف والمناسبة، والشريحة المخاطبة، والزمان والمكان، وفيما يلي نماذج متنوّعة للمضامين التبليغيّة:

وسائل وأفكار للتبليغ في مراكز نشاطات الأطفال:

تقديم الفكرة الدِّينيّة من خلال قصص مبسّطة تتناسب وذهنيّاتهم البسيطة.

توضيح الأفكار المطروحة عبر تجسيدها بالصور والمجسّمات البيانيّة.

إعداد سيناريوهات مبسّطة لمسرحيّات قصيرة تُمثّل قصص الأنبياء والأولياء وغيرهم، يقوم الأطفال بأداء الأدوار فيها مع حضور أهلهم.

تقديم العبادات والواجبات وتبيين فوائدها باستخدام الأناشيد والحوارات والتمثيليّات.

الثناء على الأطفال وتقديم الجوائز لهم لتفاعلهم مع الأفكار المطروحة تقديم ما يراد تقديمه على لسان دمى يدويّة تمثّل شخصيّات رسوميّة محبّبة لدى الأطفال: تويتي، الحسّون، بنك بانثر،...

(1) الأحسائي، ابن أبي جمهور، عوالي اللئالي، تقديم السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، تحقيق الحاج آقا مجتبى العراقي، لا.ن، لا.م، 1403ه - 1983م، ط1، ج 4، ص 81.

اصطحاب الأطفال إلى حديقة الحيوانات لتعريفهم إلى روايات الحيوانات الوارد ذكرها في القرآن الكريم وقصصها، ورواية أبرهة، وناقة صالح، وحصان الإمام الحسين عليه السلام.

ابتكار ألعاب تشكّل صورة مصغّرة عن صورة العبادات، كتجسيم الكعبة الشريفة ليقوم الأولاد بعبادة الطواف حولها وتركيب الصور المتناسبة مع القصص.

التركيز في الهدف من اللّعب بالنسبة إلى الأعمار الصغيرة، مع القليل من المعلومات التطبيقيّة، مع عدم إشعار الطفل بأنّ الهدف والمشروع هو التعليم، إلّا من حيث كون المعلومة معبراً إلى التسلية والترفيه بجعلها جائزة لها.

إنشاء ما يشبه الحضانة أو داراً للعناية بالأولاد والأطفال في فترات انشغال الأهل، بإدارة متخصّصين وبرامج محبّبة تقوم باستعمال الألعاب والقصص وسيلةً لإيصال المعارف والمفاهيم الأساس والبسيطة للإسلام إلى عقول الصغار ونفوسهم وقلوبهم.

وسائل وأفكار للتبليغ في الإنترنت

إعداد المبلغين لخوض عالم المعلوماتيّة، بدورات تأهيليّة، وجعل الحاسوب والإنترنت جزءً من المنهج الدراسيّ في حوزاتنا ومعاهدنا ومدارسنا.

إنشاء مواقع دينيّة إلكترونيّة والتعريف بها إعلاميّاً لتصبح مقصداً للزوار.

إعداد مراكز لأبحاث تضمّ علماء متخصّصين عملهم ردّ الشبهات ودفع المغالطات الّتي تطرح وتُدعَم لتوهين الدِّين والمذهب.

قيام المبلّغين بإحياء القضايا الأساس للمسلمين، كقضيّة القدس والهجمة الّتي يتعرّض لها الدِّين شخص النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تحديداً، والمؤتمرات الّتي تحاك ضدّ المسلمين... وذلك عبر التوثيق بالمستندات والصور وتسليط الضوء على معتّمات الإعلام المعادي، وإيصال ذلك كلّه إلى أكبر عدد ممكن من الزائرين.

دخول مواقع المحادثة Chatting والقيام بتمرير المادّة التبليغيّة في طيّات الحديث، مع الحفاظ على أسلوب عفويّ في الخطاب.

القيام بحملة إعلاميّة واسعة في التلفزيون والراديو والجرائد والمجلّات والمجمّعات

والنوادي وعبر المنشورات للتعريف بالمواقع الإسلاميّة مع محفّزات لارتيادها والاستفادة منها واللوذ إليها عند أيّ مشكلة ومعضلة تواجه الشخص سواء كانت دينيّة أو اجتماعيّة أو غير ذلك.

وسائل وأفكار للتبليغ في مناسبات الفرح والأعياد

إظهار الفرح ونشر مظاهره في الأعياد الإسلاميّة ومناسبات فرح المسلمين، واستغلال هذه الأيّام بصلة الرحم والتزاور ونبذ الخلافات والأضغان، ممّا يعكس صورة الإسلام المشرقة ورحيميّة الدين.

مجانبة أجواء اللّهو والمجون والخلاعة والمخالطة ومظاهرها، والنهي عنها بالنحو المقدور.

حملات توعية ضدّ مظاهر الاحتفال المزعجة والمؤذية والمنبوذة كالألعاب الناريّة، والسهرات الماجنة، والتعدّي على راحة الناس....

ترك الاحتفال والمشاركة بما كرّسته الثقافات الغربيّة من الأعياد، حتّى على مستوى المسايرة والمُداراة؛ وإظهار جميع مستويات الإنكار لها يداً وقلباً ولساناً.

إقامة ندوات ومحاضرات وحوارات في المناسبات المذكورة في الفقرة السابقة تعرّف المسلمين إلى الموقع الّذي ينبغي أن يكونوا فيه والموقف الّذي لا بدّ من اتّخاذه بالنسبة إلى هذه الدخيليّات المتطفّلة ودورها في انحلال روابط الدِّين والمجتمع.

اعتماد سياسة الإعلام المضادّ، لمنع تكريس الثقافة الغربيّة وفسادها، فمعلوم للجميع ما للإعلام التابع من تأثير في نفوس الناس، فضلاً عن أساليبه المتقنة.

دخول البيوت وتحذير الناس من مغبّة الدخول في متاهات التبعيّة، وخطر ذلك على مستقبل الإسلام والأخلاق الاجتماعيّة، إضافة إلى إضعاف جبهة الإسلام.

إقامة مجالس عامّة ذات عناوين رنّانة وجذّابة، والإعلان الواسع في الدعوة إليها تكون مناهضة للأجواء الموبوءة في المضامين والأهداف، محورها ذكر الآخرة.

المفاهيم الرئيسة

1. المراد بأسلوب التبليغ هنا ما بُلّغت به أوامر الله تعالى وإرشاداته إلى المدعوّين, والأسلوب يجمع على أساليب «وهو الطريق، والوجه، والمذهب
2. إنّ النظريّة الإسلاميّة لم تحصر العمل التبليغيّ بمنهج واحد، بل دعت لاستخدام كلّ أسلوب يتيح فرصة النفوذ إلى قلب الطرف الآخر والتأثير فيه.
3. ينبغي الانفتاح على المناهج والأساليب الحديثة والمعاصرة في التبليغ وعدم الاقتصار على الصور التبليغيّة التقليديّة.
4. من ميّزات أساليب الدعوة في القرآن الكريم أنّها لم تصطدم بالعلم، وهي قائمة على الحقّ وعلى الوضوح والجدّيّة وعلى اليسر وعدم العسر والحرج.
5. من أساليب التبليغ في القرآن الكريم: التدرّج، المجادلة، الحكمة والموعظة الحسنة.
6. يجب تنويع الأساليب التبليغيّة بتنوّع الهدف والمناسبة، والشريحة المخاطبة، والزمان والمكان.

الدرس الثامن:

أساليب التبليغ - 2 -

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى أسلوبي التذكير بالنعمة وتقوية المعنويّات.

2 . يشرح أسلوبي إثارة العواطف وإيقاظ الوجدان.

3 . يبيّن فوائد أسلوبي الترغيب والترهيب في عمليّة التبليغ.

تمهيد

نتحدّث في هذا الدرس عن مجموعة من الأساليب الأخرى الّتي استخدمها القرآن الكريم. فقد كنّا ذكرنا في الدرس السابق ثلاثة أساليب وهي: التدرّج، والمجادلة، والحكمة والموعظة الحسنة.

تابع- من أساليب التبليغ في القرآن الكريم[1]

1. أسلوب التذكير بالنعمة:

يجب على المبلِّغ أن يحبّب الله تعالى إلى الناس. ومن أجل إيجاد هذا الحبّ لله في قلوبهم، يجب تذكيرهم بعَظَمَةِ الله ونِعَمه، سواءٌ منها العامّة كالسلامة والحياة والعلم والإيمان، أم الجزئيّة كالعين والفم والشفتين وما إلى ذلك.. وهذا ما يوجب تذكير الناس بالنعم من الأساليب الإقناعيّة الّتي استخدمها القرآن الكريم في العديد من الموارد، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾[2].

وهكذا في نِعمة الرزق: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ...﴾[3].

---

(1) بناءً على بعض التفسيرات لهذه الآيات.

(2) سورة الأحزاب، الآية 9.

(3) سورة فاطر، الآية 3.

ونعمة الوحدة: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ...﴾[1].

ونعمة القيادة والهداية: ﴿يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ..﴾[2].

2. أسلوب بناء النفوس وتقوية المعنويّات:

على المبلِّغ أن يبيِّن للناس أنّ دين الإسلام هو دين الرحمة، وأنّ باب رحمة الله تبارك وتعالى لا يسدُّ بوجه أحدٍ من العباد مطلقاً، إذ لربّما كان العباد المذنبون يريدون التوبة والرجوع إلى خالقهم عزّ وعلا، فيجب أن يكون الطريق مفتوحاً أمامهم، والله تعالى يقبل توبة عباده، فهو الرحمن الرحيم:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ...﴾[3]. ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ...﴾[4].

ومن جملة صفاته عزّ وعلا: الغفور، الغفَّار، الرؤوف، الودود، ستّار العيوب، وهي صفات تصف مقدار سَعة رحمته عزّ وجل، وأنّ باب رحمته مفتوحٌ دائماً.

ولا تقتصر رحمة الله تعالى على قبول التوبة، بل هو عزّ وجلّ يبدِّل السيّئات حسنات ويثيب عليها: ﴿... يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ...﴾[5]. ﴿... إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ...﴾[6].

روى معاوية بن عمّار، عن الإمام الصادق عليه السلام: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رجل راوية لحديثكم يبثّ في الناس ويشدّده في قلوبهم وقلوب شيعتكم، ولعلّ عابداً من شيعتكم ليست له هذه الراوية، أيّهما أفضل؟ قال: «**الراوية لحديثنا يشدّ به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد**»[7].

3. أسلوب إثارة العواطف:

يستعمل الله عزّ وجلّ أسلوب إثارة العواطف من أجل تربية الناس. فمثلاً: لإبعاد

(1) سورة آل عمران، الآية 103
(2) سورة المائدة، الآية 20.
(3) سورة التوبة، الآية 104.
(4) سورة المؤمن، الآية 2.
(5) سورة الفرقان، الآية 70.
(6) سورة هود، الآية 114.
(7) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج 1، ص33.

الناس عن الغِيبة يشبِّهُها بأكل لحم الأخ ميتاً، ولا يخفى ما في هذا المثال من إثارةٍ للعواطف والإحساسات: ﴿...أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا...﴾[1].

نبيّ الله وخليله إبراهيم عليه السلام يخاطب عمّه آزر أربع مرّات بلفظ ﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾[2] إذ لعلّه بذلك يثير عاطفته فيلين قلبُه ويرجع إلى طريق الهداية.

وعندما رجع نبيّ الله موسى عليه السلام إلى قومه، كانوا قد انحرفوا فعبدوا العجل، فأخذ برأس أخيه هارون عليه السلام إلى قومه، فما كان من هارون عليه السلام ومن أجل إثارة عاطفةِ أخيه موسى عليه السلام إلّا أن خاطبه بقوله: ﴿ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى...﴾[3].

وقد جاءت سورة الحجرات لتوصينا بعدّة وصايا في هذا الباب ومن أجل حفظ عواطف الناس وإحساساتهم.

وقد أشار القرآن الكريم إلى لزوم حُسن معاملة الوالدين معاملة خاصّة لدى بلوغ أحدهما سنّ الكهولة: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا...﴾[4].

وفي ذلك إثارة للعاطفة الموجودة لدى الأولاد وكذلك في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ...﴾[5]..

وفي هذه الآية ما لا يخفى من العاطفة.

4. أسلوب إيقاظ الوجدان:

إنّ لدى الإنسان قبولاً لبعض الأمور والمسائل بشكل فطريّ طبيعيّ، ودون الحاجة إلى التلقين، فمن اللّازم علينا نحن المبلِّغين أن نستفيد من تلك الحالة النفسيّة لدى الناس والتي تسمّى الوجدان. ونلاحظ أنّ القرآن الكريم استفاد من ذلك، حيث يخاطب الناس في بعض آياته الشريفة بالقول ﴿...وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ...﴾.

(1) سورة الحجرات، الآية 12.
(2) سورة مريم، الآية 42.
(3) سورة الأعراف، الآية 150.
(4) سورة الإسراء، الآية 23.
(5) سورة البقرة، الآية 220

وتُجمع الآيات النازلة حول الذِكر والتذكير على أنّ الإنسان يعلم كثيراً من الأمور في داخله ويؤمن بها، لكنّه ينسى، ولذلك لزم تذكيره دائماً، ومن تلك الآيات قوله عزّ وجلّ: ﴿... فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ...﴾[1]. ﴿... فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ...﴾[2]. ﴿... أَوَ لَمْ يَعْلَمْ...﴾[3]. وقال تعالى: ﴿... وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ...﴾[4]. ذلك أنّ وجدانهم يأبى إلّا الحقّ، لكنّهم يعاندون. وقال تعالى: ﴿... وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ...﴾[5].

لاحظ كيف يخاطب عزّ وجلّ الوجدان لدى الناس، ويدعوهم إلى المحاكمة الوجدانيّة: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا...﴾[6].

يعني هل يقبل وجدانكم هذا العمل ويرضاه؟!!.

5. أسلوب الاستفادة من التاريخ وتجارب الماضين

إنّ الاستفادة اليوم من تواريخ الأمم الماضية وتجاربها في إنذار الناس لَعَملٌ مؤثّر جدّاً. وقد وردت آيات عديدة تستعمل نفس هذا الأسلوب، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ...﴾[7]. ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ...﴾[8]. ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ...﴾[9]. ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[10].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**.. وإن لم أكن عُمِّرتُ عُمرَ من كان قبلي فقد نظرتُ في أعمالهم...**»[11].

---

(1) سورة التكوير، الآية 26.
(2) سورة يونس، الآية 35.
(3) سورة القصص، الآية 78.
(4) سورة العنكبوت، الآية 61.
(5) سورة العنكبوت، الآية 63.
(6) سورة النساء، الآية 21.
(7) سورة مريم، الآية 16.
(8) سورة مريم، الآية 41.
(9) سورة مريم، الآية 51.
(10) سورة الأنبياء، الآية 85.
(11) نهج البلاغة، مصدر سابق، ص 393-394.

إنّ ذلك يبعث على العبرة. وليس السير والسياحة في الأرض في الواقع إلّا استفادة من التاريخ وتجارب الآخرين، وله آثار إيجابية جمّة: ﴿... قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ...﴾[1].

﴿... أَوَ لَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ...﴾[2].

إنّ التذكير بما جرى على الأمم السالفة من العذاب والإبعاد عن رحمة الله تعالى أسلوب مؤثّر جدّاً في المخاطَبين.

ولأجل تعليم بني آدم يذكّرهم الله تعالى بما جرى على أبوَيهم من قبل آدم وحوّاء عليها السلام: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ...﴾[3].

وهناك أمثلة كثيرة على هذا الأسلوب، نذكر منها مثالاً على تذكير الله تعالى لنا بما جرى على الأولياء من قبل، وذلك للربط على قلوب أوليائه عزّ وجلّ في كلّ حين، فيستمرّون في طريقهم نحو هدفهم بعزم تامّ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ...﴾[4].

6. أسلوب الترغيب:

يؤكّد أمير المؤمنين عليه السلام في كِتاب أرسله إلى مالك الأشتر الاستفادة من أسلوب الترغيب والإثابة، قال عليه السلام: «**ولا يكوننّ المحسن والمسيء عندك بمنزلةٍ سواء، فإنّ في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة..**»[5].

وهذا الأسلوب يعتبره الإخصّائيون في علم النفس ذا أثر بالغ في تربية الإنسان لا يقلّ عن أثر المعجزة.

(1) سورة آل عمران، الآية 137.
(2) سورة الروم، الآية 9.
(3) سورة الأعراف، الآية 27.
(4) سورة آل عمران، الآية 146.
(5) نهج البلاغة، مصدر سابق، ص 430.

فعلى المبلِّغ أن يعمل بوصية أمير المؤمنين عليه السلام فيستفيد من أسلوب الترغيب. وواضحٌ في القرآن الكريم استعمال الأسلوب نفسه، فالله عزّ وجلّ يريد لعباده أن يذكروه فيذكرهم، وهل أبلغ في الترغيب من أن يكون وليّ النعمة ذاكراً لعبده؟! ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[1].

ويأمر الله سبحانه رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أن يُخبر الناس بأنّ ربّهم غفور رحيم: ﴿... نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ...﴾[2].

وإنّ الله يحبّ الذين يتّبعون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿... فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ...﴾[3].

والله عزّ وجلّ يصلّي على عباده الّذين لا يفترون عن تسبيحه بكرةً وأصيلاً: ﴿.. هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ..﴾[4].

ويأمر عزّ وجلّ رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة على المؤمنين الّذين يؤدّون صدقات أموالهم: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[5].

ويصلّي عزّ وجلّ على الصابرين في المصائب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾[6].

ويرغِّب الله عزّ وجلّ العلماء بقوله: ﴿... هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[7].

وما ورد في الروايات من أنّ النظر إلى العالِم عبادة، ليس إلّا من هذا النوع من الترغيب للمتعلِّمين، وإعطاء العالِم حقّه ثواباً له.

بعد أن أُمر نبيّ الله إبراهيم عليه السلام بذبح ولده إسماعيل عليهما السلام، قال إسماعيل عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[8].

(1) سورة البقرة، الآية 152.
(2) سورة الحجر، الآية 49.
(3) سورة آل عمران، الآية 31.
(4) سورة الأحزاب، الآية 43.
(5) سورة التوبة، الآية 103.
(6) سورة البقرة، الآية 157.
(7) سورة الزمر، الآية 9.
(8) سورة الصافات، الآية 102.

إنسان كهذا ينبغي أن يكون ثواب عمله عظيماً جدّاً، وأيّ ثواب أعظم من جعل قبره في الكعبة أو قربها، فقد كان مسَلِّماً لأمر الله عزّ وجلّ.

أمثلة على الترغيب والثواب الإلهيّ:

لاحظ أنّ الله تبارك وتعالى من صفاته أنّه «**شاكر**» وذلك ترغيباً لعباده على شكرهم له: ﴿.. فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ..﴾[1].

وقد ورد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقوم بترغيب المتميّزين من أصحابه وإثباتهم، فقد أهدى صلاةً إلى جعفر الطيَّار الّذي نشر تعاليم الإسلاميّ في أفريقيا وفي مدّة 12 سنة من تحمّل المصاعب والمشاقّ، وقد سُمّيت تلك الصلاة بـ «**صلاة جعفر الطيَّار**».

وقد عيَّن صلى الله عليه وآله وسلم أسامة ذا الثمانية عشر ربيعاً قائداً للجيش[2].

وأعطى عليّاً عليه السلام عمامته المباركة، بل وضعها على رأسه بيده الشريفة[3].

والإمام الحسين عليه السلام أعطى ألف درهم جائزة لمعلِّم أولاده[4].

والإمام الرضا عليه السلام أعطى قميصه وثلاثين ألف درهم خاصّة لِدعبل الشاعر[5].

والإمام الكاظم عليه السلام أهدى تلك المرأة المؤمنة شَطِيطَة قسماً من كفنه المبارك وأربعين درهماً، أرسلها إليها في نيسابور[6]. والإمام الصادق عليه السلام قدَّم هشاماً ذا السبعة عشر ربيعاً على كثيرٍ من الرجال والكهول. وعندما كان يدخل هشام مجلس الإمام عليه السلام كان يُجلسُه في صدر المجلس وهو يقول: «**.. هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده..**»[7].

---

(1) سورة البقرة، الآية 158.

(2) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، 1396ه - 1976م، لا.ط، ج4، ص 440.

(3) راجع: الإربلي، الشيخ علي بن أبي الفتح، كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء، لبنان - بيروت، 1405ه - 1985م، ط2، ج1، ص 199.

(4) فلسفي، الشيخ محمد تقي، الطفل بين الوراثة والتربية، تعريب وتعليق فاضل الحسيني الميلاني، مكتبة الأوحد، لا.م، 1426ه - 2005م، ط2، ج2، ص 188.

(5) القميّ، الشيخ عباس، منتهى الآمال، الدار الإسلامية، لبنان - بيروت، لا.ت، لا.ط، ذكر أصحاب الإمام الرضا عليه السلام.

(6) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج47، ص 252.

(7) المصدر نفسه، ج75، ص 296.

وهذه الأنواع من الترغيب ليست مجرّد باعث على تكامل الأفراد فحسب، بل هي في الوقت نفسه زجرة تأنيب للفاسدين، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**ازجر المسيء بثوابِ المحسن..**»[1].

وهل كون السجود على تربة سيّد الشهداء الحسين عليه السلام مستحبّاً إلّا حبّاً للإمام الحسين عليه السلام وترغيبًا في الشهادة في سبيل الله، وإعلاناً عن التنفّر والانزعاج من أعداء الإمام الحسين عليه السلام؟

وهل مراسم الحجّ الّتي هي عبارة عن «**ثواب**» لإبراهيم الخليل عليه السلام إلّا مراسم زجرٍ وتبرُّؤ من المشركين وعبّاد الأصنام؟

وقد ورد في القرآن الكريم أنواع من الثواب المضاعفِ النتائج: ﴿... وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ...﴾[2].

وقد وردت آياتٌ عديدة في هذا المضمار متضمّنة من ألفاظ عدّة:

ـ ضِعف، أضعاف فله عشر أمثالها في كلّ سنبلةٍ مئة حبّة بغير حساب، وعشرات الآيات الأخرى الّتي تتحدّث عن الجنّة وما أعدّ الله عزّ وجلّ فيها من الثواب لعباده المؤمنين.

7. أسلوب الترهيب:

إنّ الاستفادة من التهديد إلى جانب أسلوب الترغيب والإثابة، يبعث على التعادل بين حالتي الخوف والرجاء، وهي حالة الأمل والخوف. وقد جاء كثيرٌ من الآيات الشريفة ليتحدّث عن البرزخ والقيامة، وجهنَّم، والحساب، والاعـتراف، والتأمّل والخضوع يوم القيامة، والعبور على الصراط، واسوداد الوجوه، وأخذ الكتاب بالشِّمال، وليس ذلك إلّا للتهديد والوعيد والترهيب: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝١ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ﴾[3].

(1) نهج البلاغة، مصدر سابق، ص 501.
(2) سورة مريم، الآية 76.
(3) سورة الواقعة، الآيات 1-3.

كما أنّ هناك آيات تتحدّث عن الخسران: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا...﴾[1].

وأحياناً تتحدّث الآيات عن الشراء الخاسر: ﴿... بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ...﴾[2].

ومرّة يلمّح القرآن الكريم تلميحاً إلى موضوع ما، كأن ينتقد رضى الإنسان بالحياة الدنيا بدلاً عن الآخرة ﴿... أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾[3].

ويشرح القرآن الكريم أحوال الأمم السالفة، كقوم عاد وثمود وأصحاب الفيل و..إلخ، الذين عاقبهم الله عزّ وعلا في هذه الدنيا، وذلك يبعث على تهديد الآخرين وترهيبهم من المصير نفسه. وتختلف لهجة الآيات القرآنيّة باختلاف الموضوع والمخاطبين، فتخاطب المعاندين العاصين بلحن شديد وألفاظ قويّة، ممّا يبعث على ترهيب الآخرين لمنعهم من تكرار الأعمال نفسها: ﴿.. وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ..﴾[4]. ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ...﴾[5]. ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ...﴾[6].

وقد نزلت آيات في تهديد نساء النبيّ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾[7]. ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾[8].

وإذا أراد والدٌ تأديب ولده وقال له (افعل ما شئت)، فإنّ ذلك لا يعني رضا الوالد بأعمال ولده المنافية للأخلاق، بل يعني أنّه يُهدِّده ويتوعّده ويخوِّفه ممّا قد يحلّ عليه من العقاب. وقد وردت آيات قرآنيّة كريمة تتحدّث بهذا الأسلوب نفسه: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ...﴾[9].

(1) سورة النساء، الآية 119.
(2) سورة البقرة، الآية 90.
(3) سورة التوبة، الآية 38.
(4) سورة المطففين، الآية 1.
(5) سورة المطففين، الآية 10.
(6) سورة الهُمزة، الآية 1.
(7) سورة الأحزاب، الآية 28.
(8) سورة الأحزاب، الآية 30.
(9) سورة فصِّلت، الآية 40.

وفي آية أخرى يُخاطب الله عزّ وجلّ رسوله الكريم بقوله: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ...﴾[1].

والمباهلة نوعٌ من أنواع الترهيب والتهديد: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[2].

ويستعمل القرآن الكريم بعض الألفاظ الخاصّة الّتي تفيد التهديد والترهيب: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾[3].

﴿... سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾[4].

إنّ الاستفادة من أسلوب الترغيب والإثابة والتهديد والترهيب جنباً إلى جنب، أمرٌ له من النتائج الإيجابيّة ما لا يُحصى، وهو درس نتعلَّمه من الآيات الشريفة الّتي جاءت بالأسلوب نفسه، حيث وعدت الطائعين المؤمنين بالجنّة، وهدَّدت العاصين والكافرين بالنيران والخسران.

(1) سورة الزمر، الآية 39.
(2) سورة آل عمران، الآية 61.
(3) سورة النبأ، الآيتان 4-5.
(4) سورة القمر، الآية 26.

المفاهيم الرئيسة

1. من أساليب التبليغ في القرآن الكريم: أسلوب التذكير بالنعمة، أسلوب بناء النفوس وتقوية المعنويّات، أسلوب إثارة العواطف، أسلوب إيقاظ الوجدان ،أسلوب الاستفادة من التاريخ وتجارب الماضين، أسلوب الترغيب، أسلوب الترهيب.
2. أسلوب التذكير بالنعمة: مثل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾[1].
3. أسلوب بناء النفس وتقوية المعنويات: كما في الآيات التي تتحدّث عن رحمة الله بعباده وتوبته لهم، مثل قوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾[2].
4. أسلوب إثارة العواطف: كما في خطاب إبراهيم لعمّه آزر ﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾[3].
5. أسلوب إيقاظ الوجدان: بملاحظة الأمور الفطرية المركوزة في الإنسان وتذكيره بها، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾[4].
6. الاستفادة من التاريخ وتجارب الماضين: مثل قوله سبحانه: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾[5].
7. أسلوب الترغيب: وفي القرآن الكريم كثير من الآيات التي ترغّب المؤمنين في الصالحات، مثل قوله سبحانه: ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾[6].
8. أسلوب الترهيب: وهذا الأسلوب كثير في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾[7].

(1) سورة المائدة ، الآية 11.
(2) سورة غافر، الآية 3.
(3) سورة مريم، الآية 45.
(4) سورة العنكبوت، الآية 61.
(5) سورة آل عمران، الآية 137.
(6) سورة آل عمران، الآية 31.
(7) سورة المطففين، الآية 1.

الدرس التاسع:

أساليب التبليغ - 3 -

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يتعرّف إلى أهمّيّة أسلوبي التلقين وتحريك العقول وأثرهما في التبليغ.
2. يبيّن دور أسلوب ضرب الأمثال في تفعيل أساليب التبليغ.
3. يشرح دور القصّة في إيصال المضمون والتأثير بالمخاطبين.

تمهيد

نتحدّث في هذا الدرس عن بقيّة أساليب التبليغ في القرآن الكريم, بعد أن ذكرنا في الدرسين السابقين، أساليب: التدرّج، المجادلة، الحكمة والموعظة الحسنة، التذكير بالنعمة، بناء النفوس وتقوية المعنويّات، إثارة العواطف، إيقاظ الوجدان، الاستفادة من التاريخ وتجارب الماضين، الترغيب والترهيب. فبعد هذه الأساليب العشرة نقول:

تابع- من أساليب التبليغ في القرآن

1. أسلوب التلقين والتذكير:

التلقين أحد الأساليب في تربية الإنسان. ويعلن القرآن الكريم أنّ جميع الموجودات تُسبِّح بحمد الله عزّ وجلّ وتسجد له، وفي ذلك ما لا يخفى من التلقين للإنسان، لحثِّه على الالتحاق بعالم الوجود، وعدم التخلُّف عن الموجودات الأخرى، فيشترك معها بشكر الخالق جلّ وعلا.

والتلقين نوعان: لفظيّ وعمليّ.

فاللفظيّ هو تكرار لفظ معيّنٍ ككلمة لا إله إلّا الله، والصلاة على النبيّ وآله الكرام، وقد جاءت الروايات توصي بذلك..

والعمليّ يحصل بتكرار العمل، ففي الروايات: «**إن لم تكن حليماً فتحلَّم..**»[1]. و»جالس العلماء..».

(1) نهج البلاغة، مصدر سابق، ص 506.

وهذه نماذج للتلقين العمليّ: عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من كان كفنه في بيته لم يُكتب من الغافلين، وكان مأجوراً كلّما نظر إليه..**»[1]. فالنظر إلى الكفن تلقين يفيد أنّ الموت حقٌّ لا بُدّ منه.

والرجز شعراً في ميدان القِتال، والتكبير حين الهجوم على العدوّ، تلقين يفيد معاني النصر.

وكذلك فلسفة قراءة مجالس العزاء وإحيائها، تلقين عمليّ يعبِّر عن الشهامة والشهادة..

واللهُ عزّ وجلّ يُلقّن رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

وقد ورد في بعض الأحاديث أنّه لو لم يقل يعقوب عليه السلام لأولاده: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾[3]، لما جاؤوا يدَّعون أنّ الذئب أكل أخاهم يوسف عليه السلام..!

وكثيراً ما يذكر الله تعالى في القرآن الكريم قصص الصالحين، وليس ذلك إلّا تلقيناً وتذكيراً للناس. وهنا نذكر نموذجين من ذلك: ﴿... وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ...﴾[4]. ﴿... وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا...﴾[5].

وقد ترد بعض العبارات الخاصّة الّتي يراد بها تلقين عمل ما، فنلاحظ أنّ الله عزّ وجلّ يمدح الذين ينفقون أموالهم في سبيله، بقوله عزّ وعلا: ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ...﴾.

وفي ذلك ما يُطيِّب خاطر المنفقين لأموالهم، ويطمئنهم اطمئناناً مضاعفاً: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ...﴾[6].

2. أسلوب تحريك العقول:

إنّ العقلاء في أيّ مجتمع كان هم أهل الفكر والتفكير، لذلك هم يبحثون عن الدليل

(1) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 78، ص 330.
(2) سورة الزخرف، الآية 43.
(3) سورة يوسف، الآية 13.
(4) سورة مريم، الآية 16.
(5) سورة مريم، الآية 41.
(6) سورة البقرة، الآية 265.

المنطقيّ والعقليّ دائماً. وقد استفاد القرآن الكريم من أسلوب العقلاء هذا، فنراه عندما يتكلّم عن بعض المواضيع يورد له أدلةً منطقيّة وعللاً واضحة:

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾[1].

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾[2].

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾[3].

وهكذا نرى أنّ القرآن الكريم كثيراً ما يُخاطب عقول الناس، وبذلك لا مفرّ من إعطاء الجواب الصحيح ولا مناص وهو ما يريد إثباته.. مثلاً بالنسبة إلى الله عزّ وجلّ، يسأل القرآن الناس: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ...﴾[4].

يعني: عقلاً، هل يُمكن أن يكون هناك موجود أعظم من الله تبارك وتعالى خلق هذه السموات والأرض؟!!

فإذا أجاب امرؤٌ بالإيجاب، عُلم أن عَقله يعاني نقصاً.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ...﴾[5].

وكذلك بالنسبة للنبوّة: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ...﴾[6].

وبالنسبة للإمامة: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ...﴾[7].

وبالنسبة إلى المعاد: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[8].

﴿... أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ...﴾[9].

---

(1) سورة الواقعة، الآيتان 63 - 64.
(2) سورة الواقعة، الآيتان 68-69.
(3) سورة الواقعة، الآيتان 71 - 72.
(4) سورة النمل، الآية 60.
(5) سورة يونس، الآية 35.
(6) سورة الطور، الآية 32.
(7) سورة يونس، الآية 35.
(8) سورة المؤمنون، الآية 115.
(9) سورة ق، الآية 15.

3. أسلوب ضرب الأمثال:

إنّ من أفضل أساليب تفهيم الناس موضوعاً ما وبخاصّةٍ أولئك الّذين لا يتمتّعون بدرجة ثقافيّة كافية الاستفادة من ضرب الأمثال المحسوسة والمناسبة لذلك المجتمع، حيث يعايش الناس تلك المسائل أكثر من غيرها، ويدركونها بحواسّهم الظاهريّة إدراكاً أكيداً، خلافاً للمسائل العقليّة الّتي يحتاجون في فهمها إلى استعمال الذهن الوقّاد.

ويُعتبر أسلوب ضرب المثل من أساليب القرآن الكريم الهادفة إلى إيضاح الكثير من المعاني والمجرّدات وتقريبها إلى الناس، باستخدام أساليب بيانيّة وتشبيهات محسوسة من واقع الناس، والمناسبة لبيئتهم ومجتمعهم.

ومن هنا يولي الله عزّ وجلّ هذه المسألة اهتماماً خاصّاً, فالقرآن الكريم مليء بالأمثال المبسَّطة وعلى اختلافها عسى أن تبعث الناس على التفكُّر والتذكُّر، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]. ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[2].

ويدلُّ على تنوُّع تلك الأمثال، الآيات العديدة الّتي نزلت في ذلك الصدد، وسوف نشير إلى بعضها، وإلى ذلك يشير قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾[3].

ومن اللافت للنظر، أنّ الله عزّ وجلّ يضرب الأمثال بدءاً بأصغر الموجودات، وهو درس ينبغي للمبلِّغ أن لا ينساه، قال تعالى:.. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[4].

نماذج الأمثال القرآنيّة ومواصفاتها

- **دوافع الإنفاق ونتائجه:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[5].

(1) سورة الحشر، الآية 21.
(2) سورة إبراهيم، الآية 25.
(3) سورة الروم، الآية 58.
(4) سورة البقرة، الآية 26.
(5) سورة البقرة، الآية 264.

الشاهد: يشبّه القرآن الإنفاق الّذي يصاحبه الرياء والمنّة والأذى بطبقة خفيفة من التربة تغطي صخرة صلدة لا نفع فيها، فإذا سقط المطر كشف التراب عن تلك الصخرة وأظهر حقيقتها وكذلك الذي ينفق رياء يكشف بتمنينه وإيذائه للفقير عن خبث سريرته ومرضه، فالظاهر حسن إلّا أنّ الباطن لا نفع فيه.

والنتيجة: والله لا يهدي القوم الكافرين: أي سيسلبهم الله التوفيق والهداية لأنّهم أقدموا على المنّة والأذى، ومثل هؤلاء لا يليقون بالهداية.

- **الحثُّ على الإنفاق:** ومن ناحية أخرى، يشبِّه تعالى إنفاق الأموال في سبيله بالسنابل:.. ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].
- وفي آيةٍ أخرى يضرب الله عزّ وعلا مثل هوان الدنيا وعدم قيمتها:. ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾[2].
- وأيّ مثال أبلغ ممّا ضرب الله عزّ وجلّ مثلاً لبيان عدم نفاد كلماته تبارك وتعالى:.. ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾[3]...
- ومن جملة الأمثال، المثل المتعلّق باليهود:.. ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾[4]. وتَكْثر في القرآن الكريم الاستفادة من ضرب الأمثال بالأمور الطبيعيّة والمتوافرة في كلّ حين، ولدى كلِّ واحد، كطلوع الشمس وغروبها..
- ويُشبِّه تعالى وجوده جلّت عظمته بالنور: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٖۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾[5].

(1) سورة البقرة، الآية 261.
(2) سورة الكهف، الآية 45.
(3) سورة الكهف، الآية 109
(4) سورة الجمعة، الآية 5.
(5) سورة النور، الآية 35.

إنّ المبلِّغ يستطيع الاستفادة من هذه الأمثال، وكذلك الأمثال الواردة في الروايات الشريفة، وعلى سبيل المثال نذكر بعضها:

- الصلاة مثلها كمثل نهر جارٍ على باب أحدكم، تغسل الأدران...
- إحياء الناس يوم القيامة، كإحياء الشجر والعشب في الربيع..
- ومن القرآن قوله تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾[1].
- وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾[2].

إنّ كثيراً من المسائل يُمكن تبسيطها وتقريبها للفهم بالاستفادة من أسلوب ضرب الأمثال، وهنا نذكر بعض الأمثلة على ذلك أيضاً:

الموت والحياة كالنوم واليقظة.

المرأة بدون الحجاب، كالجوهرة غير المصونة، أو كالثمرة البارزة غير المخبأة بالأوراق!!

السيطرة على الغرائز، كالسيطرة على الغاز، فإذا كان في مسيره الصحيح تحوَّل إلى نور يُضيء وحرارة تُعطي الدفء، وإلّا كانت النتيجة الانفجار والدمار.

هل يعقل أن يخاطر الإنسان بدخول جهنّم خالداً فيها، من أجل بضع سويعات يقضيها في اللذّات المحرّمة؟!

إنّ مثل هكذا شخص كمثل شخص يقتلع حدقة عينه في دقيقة واحدة، ويقضي بقية عمره أعمى!!

4. أسلوب الاستفادة من الفنون:

حيث إنّ طبيعة الإنسان تأنس بالفنّ وتنفُر من المواضيع الجافَّة والروتينيّة, فينبغي ومن أجل تبليغ المسائل الدِّينيّة الاستفادة من الأساليب الفنيّة والإيحاء غير المباشر.

واليوم، في بلاد العالم المتطوّر، أصبح ذلك العمل أمراً طبيعيّاً ومقبولاً، فالمستعمرون ومن أجل الوصول إلى أهدافهم المشؤومة لا يقومون بالدعوة إلى أفكارهم بشكل مباشر،

(1) سورة ق، الآية 11.
(2) سورة فاطر، الآية 9.

بل يدعون إليها بشكل غير مباشر, بحيث يجذبون الناس إليهم بسرعة. وإنّه لَممّا يبعث على التأسُّف والأسى أنّ الكفّار جدِّيّون تماماً في طرح أفكارهم المنحرفة، فيستفيدون لذلك من جميع الإمكانات المتوافرة كالأفلام والمسارح والرسم والنحت والخطّ والهندسة المعماريّة وما شابه ذلك ممّا تختصره كلمة «**الفنّ**»، وهم بذلك يُحكمُون أسس الكفر، بينما نلاحظ في عالم المسلمين أنّ هذه الأمور لا تتمتّع بما يجب من الاهتمام فصار تبليغنا منحصراً بفنّ الخطابة. والحال أنَّ الخطابة - والمقصود هنا الخطابة المشتملة على جميع ظروف النجاح - ليست سوى إحدى الوسائل، وحيث إنّها أسلوب مباشر فإنّ أثرها يقلّ عن أثر الأسلوب غير المباشر.

اليوم تقوم البلاد الغربية والمتموِّلون الفاسدون وبالاستفادة من الوسائل الفنيَّة «**بخطف**» أفكار الشباب حتّى صاروا ينحرفون بسرعة، تماماً كما حدث على يد السامريّ الّذي «**خطف**» أفكار الناس وحوَّلها عن عبادة اللّه تعالى بوسيلة بعض المعادن البرَّاقة، فضلَّل الناس بها مدَّعياً أنّها إله موسى عليه السلام: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾[1].

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**ردُّوا الحجر من حيث جاء فإنّ الشرّ لا يدفعه إلاَّ الشرّ...**»[2].

بعد الثورة المباركة في إيران حصل اهتمام خاصّ بمثل الفنون المذكورة، إضافة إلى الاهتمام بفنّ القصص وكتابة المسلسلات التمثيليّة والشعر وغير ذلك ممّا يفيد في عمليّة التبليغ.

غير أنّ ذلك الاهتمام لم يكن بدرجة كافية. وإنّه لَممّا يليق أن يقوم بعض طلّاب العلوم الدِّينيّة من الّذين توجد لديهم الاستعدادات الكافية بتعلّم تلك الفنون بشكل جدِّيّ أكثر على أمل أن يستفاد منها في العمليّة التبليغيّة.

إنّ من أحد الأساليب الفنيَّة «**أسلوب التمثيل**» وسنرى نماذج منه في تعامل أولياء اللّه عزّ وعلا مع الآخرين:

(1) سورة طه، الآية 88.

(2) نهج البلاغة، مصدر سابق، ص530.

أ. نقرأ في القرآن الكريم كيف أرسل الله عزّ وعلا غراباً يُعلّم قابيل كيفيّة مواراة أخيه، وفي ذلك استفادةٌ من أسلوب التمثيل حيث راح الغراب ينكت الأرض: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾[1].

ب. ورسول الله ﷺ يقول: «**صلّوا كما رأيتموني أصلّي**»[2].

ت. وهذا أمير المؤمنين عليه السلام ومن أجل تذكير أخيه عقيل بنار جهنّم، أحمى حديدة وقرّبها من يده[3].

ث. والإمامان الحسن والحسين عليهما السلام استفادا من أسلوب التمثيل لإلفات نظر ذلك الرجل إلى كون وضوئه غير صحيح، فراحا يتوضّئان أمامه ثمّ طلبا منه أن يحكم بينهما، فعلم أنّه هو كان على خطأ في وضوئه[4].

ج. والإمام الباقر عليه السلام، ومن أجل بيان حقيقة وضوء رسول الله ﷺ قام وتوضّأ أمام الناس[5].

ح. وفي زماننا هذا نشهد نوعاً من تمثيل واقعة عاشوراء، والّذي يُعدُّ أحد سبل بقاء تاريخ عاشوراء حيّاً بيننا.

من الواضح أنّ الاستماع إلى موضوع معيّن لو انضمّ إلى رؤية تفاصيل معيّنة حول ذلك الموضوع، لكان الأثر مضاعفاً، ما ينتج الاطمئنان القلبيّ لدى الآخرين.

فهذا خليل الله إبراهيم عليه السلام يطلب من ربّه تبارك وتعالى أن يُريه كيف يُحيي الموتى «**ليطمئنّ قلبه**»: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾[6].

---

(1) سورة المائدة، الآية 31.

(2) الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، الخلاف، تحقيق جماعة من المحققين، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقمّ المشرّفة، إيران - قم، 1407ه، لا.ط، ج1، ص314.

(3) نهج البلاغة، مصدر سابق، ص347.

(4) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 43، ص 319.

(5) الشيخ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج1، ص227.

(6) سورة البقرة، الآية 260.

وهذا رسول الله ﷺ، من أجل توضيح موضوع ما، يصنع مقدِّمات خاصّة، كقوله لأصحابه وقد كانوا جميعاً في صحراء قاحلة لا يظهر فيها سوى التراب: اجمعوا حطباً... وبعد أن جمعوا الحطب من كلّ ناحية، قال ﷺ: «**هكذا تجتمع الذنوب الصغيرة...**»[1].

5. أسلوب القَصَص

من جملة الأساليب الفنيَّة، أسلوب القصّة. وقد أولى القرآن الكريم هذا الأسلوب اهتماماً خاصّاً: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ...﴾[2].

وإنّ قَصَص القرآن الكريم أحسن القصص. وفي القرآن ما يقرب من 268 قصّة: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ...﴾[3].

وقصص القرآن الكريم تتمتّع بقيمة خاصّة، وذلك لأنّها حقٌّ وواقع وليس فيها من الخيال شيءٌ، ولها جاذبيّة خاصّة، وهي متنوّعة تشتمل على المواضيع الفلسفيّة والحقوقيّة والاجتماعيّة وغير ذلك، وهي فوق كلّ هذا تبعث على التفكُّر:

- ﴿... فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ...﴾[4].
- ﴿... لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي...﴾[5].

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص 288.
(2) سورة هود، الآية 120.
(3) سورة يوسف، الآية 3.
(4) سورة الأعراف، الآية 176.
(5) سورة يوسف، الآية 111.

المفاهيم الرئيسة

1. من أساليب التبليغ في القرآن الكريم: أسلوب التلقين والتذكير، أسلوب تحريك العقول، أسلوب ضرب الأمثال.
2. أسلوب الاستفادة من الفنون، أسلوب القَصَص.
3. التلقين والتذكير واللفظي هو تكرار لفظ معيّن لتركيزه في نفس المتلقّي ككثير من آيات القرآن الكريم، مثل تلقين الله لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].
4. التلقين والتذكير العملي يحصل بتكرار العمل كما في ما ورد: «إن لم تكن حليماً فتحلّم» وذلك بتكرار العمل.
5. تحريك العقول: بإيراد الأدلّة العقليّة والمنطقيّة، كما في قوله سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[2].
6. ضرب الأمثال: وفي القرآن الكريم إشارة إلى استعمال هذا الأسلوب، يقول تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[3].
7. الاستفادة من الفنون: حيث إنّ طبيعة الإنسان تألف وتأنس بالفنّ وتنفر من المواضيع الروتينيّة، فينبغي الاستفادة من جميع الإمكانات المتوافرة كالأفلام والمسارح والرسم والنحت وما شابه.
8. القصص: أشار القرآن الكريم إلى استعمال هذا الأسلوب، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾[4].
9. ما يميّز القصص القرآنيّ أنّها واقعيّة وليس فيها من الخيال شيء.

(1) سورة الزخرف، الآية 43.
(2) سورة المؤمنون، الآية 115.
(3) سورة إبراهيم، الآية 25.
(4) سورة يوسف، الآية 3.

الدرس العاشر:

أساليب التبليغ - 4 -

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1. يفهم أسلوب مواجهة المتكبّرين في القرآن وأثره في عودتهم إلى الحقّ.
2. يتعرّف إلى أسلوب عدم نكران الحاجات الفطريّة ودورها في التبليغ.
3. يتعرّف إلى أسلوبي الإيحاء غير المباشر والسؤال والجواب ودورهما في التبليغ.

تمهيد

نكمل في هذا الدرس تعداد أساليب التبليغ الدينيّ في القرآن الكريم. وقد كنّا ذكرنا في الدروس السابقة أساليب: التدرّج، المجادلة، الحكمة والموعظة الحسنة، التذكير بالنعمة، بناء المعنويّات، إثارة العواطف، إيقاظ الوجدان، الاستفادة من التاريخ وتجارب الماضين، الترغيب، الترهيب، التلقين والتذكير، تحريك العقول، ضرب الأمثال، الاستفادة من الفنون، والقصص.

تابع- من أساليب التبليغ في القرآن

1. أسلوب تحقير المتكبّرين وجعلهم يعترفون بالحقّ:

لقد هيّأ الله جلّ وعلا لعباده كثيراً من النعم المادّيّة والمعنويّة، وجعل لهم في ظلّ دينه عدّة امتيازات لا ينكرها لهم عاقل مهما كان مشربه. وعلى ذلك ينبغي للمبلِّغ جعل المتكبّرين والمعاندين يعترفون بذلك الحقّ المتعلِّق بتلك النعم والامتيازات غير القابلة للإنكار، ثمّ يدعوهم إلى إطاعة صاحب تلك النعم العظمى وتلك الامتيازات. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك المعنى في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ...﴾[1].

نعم، فهذه الأمور ممّا لا يمكن لأحد أن يفرّ من التسليم والاعتراف بها.

وكذلك خلق السموات والأرض وتسخير الشمس والقمر ممّا يخرج عن كلِّ قدرةٍ غير قدرة الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ

(1) سورة يونس، الآية 31.

لَيَقُولُنَّ﴾[1]. فإذا لم يعترف المتكبّرون بهذه الحقائق واستمرّوا في طغيانهم وغرورهم، فقد وجب تحقيرهم وإذلالهم، ليعلموا أن لا قيمة لهم أصلاً وأنّهم لا يقدرون على منع الرسل الإلهيّين من مواصلة عملهم التبليغيّ.

وهذا الأسلوب نستفيده من بعض الآيات القرآنيّة الشريفة: مثل: ﴿... بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ...﴾[2].

﴿... ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً...﴾[3].

﴿... صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ...﴾[4].

وقد استعمل الله عزّ وجلّ تعابير مختلفة في وصف الكفّار المتكبّرين، فشبّههم مرّة ببعض الحيوانات تحقيراً لهم:

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾[5].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[6].

وأخرى يُحقّرهم بإعلانه عن كونه غنيّاً عنهم: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ...﴾[7].

وثالثة يُحقّرهم بإعلانه أنّه غنيّ عمّا لديهم من أموال مهما عظُمت:

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[8].

(1) سورة العنكبوت، الآية 61.
(2) سورة التوبة، الآية 1.
(3) سورة البقرة، الآية 74.
(4) سورة البقرة، الآية 18.
(5) سورة المدّثر، الآيتان 49-50.
(6) سورة الأعراف، الآية 179.
(7) سورة فصّلت، الآية 38.
(8) سورة المنافقون، الآيتان 7 ـ 8.

والتأكيد على أنّ العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين، ليس إلا تحقيراً للكفّار:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ...﴾[1].

وفي بعض الآيات يأمر الله عزّ وجلّ رسوله الكريم بعدم المبالاة بأولئك المتكبّرين.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾[2].

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا...﴾[3].

ومن الطبيعيّ أن نلفت النظر إلى أنّ الكافرين يسعون دائماً إلى تحقير المؤمنين، ولذلك ينبغي الوقوف بوجههم وتحقيرهم.

مثلاً: عن لسان رؤساء قوم نوح عليه السلام: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ...﴾[4].

وقالوا في موضع آخر: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ...﴾[5].

وكان يصنع السفينة، فيسخر منه قومه: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ...﴾[6].

2. أسلوب القياس والمقارنة:

إنّ أحد الأساليب الناجحة في عمليّة التبليغ، أسلوب القياس. كالقياس بين قدرة الله عزّ وجلّ المطلقة وبين ضَعف الأصنام المطلق، وخاصّة بما يرتبط بالخلق والإحياء بعد الموت:

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ..﴾[7].

---

(1) سورة المنافقون، الآية 8.
(2) سورة التوبة، الآية
(3) سورة الأنعام، الآية 70.
(4) سورة هود، الآية 27.
(5) سورة المؤمنون، الآية 33.
(6) سورة هود، الآية 38.
(7) سورة يونس، الآية 34.

والقياس بين الربّ الواحد القادر وبين الآلهة المتعدِّدة: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ...﴾[1].

والقياس بين هدي الله تعالى إلى الحقّ وضلال غير الله عزّ وجلّ: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ...﴾[2].

والقياس بين مال الربا ومال الزكاة: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾[3].

3. أسلوب إعطاء البديل وعدم نكران الحاجات الفطريّة:

إنّ الإسلام لا يُخالف الفطرة والغرائز الإنسانيّة، لذلك نلاحظ اهتمامه بتلك الغرائز فلا يُحمِّلها أكثر من طاقتها أبداً.

وعلى سبيل المثال: عندما نهى الله سبحانه آدم وحوَّاء عليهما السلام عن الشجرة، فإنّه من ناحية أخرى أجاز لهما أن يأكُلا ما يشاءان: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾[4].

إنّ الأمر بالزكاة يصبح مقبولاً لدى الناس فيما لو بقي لهم ما يسدّ حاجاتهم، ولذلك أجاز الله عزّ وجلّ أن يُبدَأ بالأكل من الثمر أوّلاً، ثمّ يُعطى حقّ الفقراء في الوقت المناسب. فلو لم يكن بإمكان الناس الاستفادة من ذلك المورد الحلال لكان الابتعاد عن الحرام والعمل بأوامر الله تعالى مُشكلاً لديهم: ﴿.. كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ..﴾[5].

فإنّ النفس الإنسانيّة تشتمل بين طيّاتها على كثير من الغرائز. ويمكن للإنسان سدّ

(1) سورة يوسف، الآية 39.
(2) سورة يونس، الآية 35.
(3) سورة الروم، الآية 39.
(4) سورة الأعراف، الآية 19.
(5) سورة الأنعام، الآية 141.

احتياجات غرائزه تلك بالاستفادة من النعم المادّيّة الّتي خلقها الله عزّ وجلّ وسخّرها له:

﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾[1].

إنّ الله تعالى يعلم أنّ الإنسان يحتاج إلى النوم والاستراحة، لذلك لم يطلب منه السهر طول الليل لقراءة القرآن:

﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ..﴾.

فاللّه عزّ وجلّ يُهيّئ الأجواء اللازمة لجميع ما يأمر به عباده، حتّى إنّه يُهيّئ الجوّ اللّازم للمشركين أنفسهم علّهم يرجعون عن طغيانهم: ﴿.. وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ..﴾[2].

ولعلّه لذلك كان أحد مصارف الزكاة «**المؤلّفة قلوبهم**»، يعني يُعطَوا منها لجلب محبّتهم للدِّين.

إنّ وضع القوانين وإصدار الأوامر الّتي تُخالف في الظاهر الطبع الإنسانيّ بحاجة إلى استعدادٍ خاصّ، ولذلك نُلاحظ أنّ أمر الجهاد مثلاً صدر بعد مرور خمسة عشر عاماً على بعثة الرسول الأكرم ﷺ:

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ..﴾[3].

4. أسلوب اختيار الأمثل والأفضل وتعريفه للناس:

لا بُدَّ للناس من نموذج أعلى في تحرُّكهم نحو الله عزّ وجلّ والعمل بأوامره تعالى. فأسلوب اختيار الأمثل والأفضل وتعريفه للناس أسلوب يُمكن للمبلِّغ أن يستفيد منه في عمله.

وأفضل نموذج للعمل بهذا الأسلوب، القرآن الكريم نفسه الّذي ورد في عدّة آياتٍ كريمةٍ منه تعريف النموذج الصالح والأسوة الحسنة. وإنّ أفضل قدوةٍ حسنة ونموذج صالح بالنسبةِ للمسلمين هو رسول الله ﷺ:

(1) سورة القصص، الآية 77.
(2) سورة التوبة، الآية 6.
(3) سورة البقرة، الآية 216.

﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ..﴾[1].

ولا ينحصر النموذج الصالح في القرآن الكريم برسول الله ﷺ: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾[2].

والقرآن الكريم يُقدِّم الأسوة الحسنة من الناس الّذين عاشوا في أجواء الفساد والمفسدين، لكنّهم قاوموا كلَّ ذلك بنجاح:

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ..﴾[3].

وأمير المؤمنين عليه السلام، تأوَّه مرّةً وقال: «**... أين إخواني الّذين ركبوا الطريق ومَضَوا على الحقّ...؟ أين عمَّار...؟... أين ابن التَّيهان...؟!**»[4].

ويُقدِّم القرآن الكريم أسماء أفراد على أنّهم القدوة الحسنة، وفي جميع المواضيع كموضوع العفّة الّتي يتمتّع بها نبيّ الله يوسف عليه السلام، والصبر الّذي كان لدى نبيّ الله أيّوب عليه السلام، وعدم الغفلة لدى من أعطاهم الله تعالى مال الدنيا كنبيّ الله سليمان عليه السلام ونبيّ الله يوسف عليه السلام... والشجاعة لدى داوود عليه السلام والإيثار لدى أمير المؤمنين عليه السلام الّذي بات على فراش رسول الله ﷺ ليلة الهجرة...

وتقديم النموذج والقدوة، في القرآن الكريم، لا يختصّ بالموارد الحسنة فحَسب، فهناك القدوة الصالحة كما أنّ هناك النموذج السيّئ، ليكونوا عبرة لمن اعتبر: ﴿.. ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا..﴾[5].

5. أسلوب الاستفادة من القلوب الحاضرة، وتكرار الموضوع:

ينبغي للمبلِّغ أن يقصد القلوب الحاضرة، فهي تقبل الحقّ بسرعة:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ...﴾[6].

---

(1) سورة الأحزاب، الآية 21.
(2) سورة الممتحنة، الآية 4.
(3) سورة التحريم، الآية 11.
(4) نهج البلاغة، مصدر سابق، ص 264.
(5) سورة التحريم، الآية 10.
(6) سورة ق، الآية 37.

وأمّا الحديث مع أصحاب القلوب العمياء والقاسية فلا تأثير له، وهو ما يُشير إليه الله عزّ وجلّ في قوله لرسوله الكريم:

﴿.. أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ..﴾[1]. وبعض الناس لا فرق لديهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم...:

﴿.. إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ..﴾[2].

إنّ القلوب الحيَّة والحاضرة غالباً ما تكتفي بالتذكير مرّةً واحدة، فإذا هي تقبل الحقّ وتعمل به، وكذلك كانت آيات القرآن الكريم: ﴿... وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ...﴾[3].

وقد يحتاج المبلِّغ إلى التكرار، فإنّه ليس كلّ تكرار مرفوضاً، فقد ورد التكرار في آيات القرآن الكريم.

وعلى سبيل المثال نذكر الآية الشريفة: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فقد تكرَّرت في سورة الرحمن 31 مرّة.

والآية الشريفة: ﴿.. وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ..﴾ وقد تكرَّرت 11 مرّة في سورة المرسلات.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿.. فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ..﴾ تكرّر 7 مرّات في سورة الشعراء.

وقوله تعالى: ﴿... وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ...﴾ تكرَّر 5 مرّات في سورة الشعراء أيضاً.

وكلّ ذلك التكرار لم يكن سوى وسيلة لتثبيت المطالب في أعماق القلوب.

وكذلك تكرار التوصية بالتقوى من قِبل الخطيب في صلاة الجمعة.

وقد وردت في القرآن الكريم عدّة مواضيع بأشكال متنوِّعة ومختلفة، وهو نوعٌ من التكرار المفيد:

﴿... وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ...﴾[4].

---

(1) سورة يونس، الآية 43.
(2) سورة البقرة، الآية 6.
(3) سورة القصص، الآية 51.
(4) سورة الإسراء، الآية 41.

﴿... وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ...﴾[1].

إنّ كلام الله تعالى دائماً يأتي مكرَّراً ومؤكّداً بعضه بعضاً وكذلك يصل إلى عباده عن طريق الأنبياء والرسل عليهم السلام:

﴿.. ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا..﴾[2].

﴿.. إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ..﴾[3].

6. أسلوب الإيحاء غير المباشر:

إنّ أسلوب الإيحاء غير المباشر والّذي أشرنا إليه فيما سبق في مسألة الاستفادة من الفنون لا ينحصر في التمثيل والمسابقات وما شابه... بل يُمكن الاستفادة منه أيضاً في الكلام، بحيث لا تُطرح المواضيع جافّة. فتُطرح مثلاً قصّة ما أو مثال معيَّن، يُصار إلى طرح الأوامر الإلهيّة عن طريقه، أو يكون الكلام بأسلوب «**... إيّاكِ أعني واسمعي يا جارة...**»، وقد نزل القرآن الكريم بهذا الأسلوب، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**... نزل القرآن بإيّاك أعني واسمعي يا جارة...**»[4].

وعن الإمام الصادق عليه السلام في رواية أخرى ما معناه: «**ما عاتب الله عزّ وجلّ نبيَّه** صلى الله عليه وآله وسلم **فهو يعني ما قد مضى في القرآن مثل قوله تعالى:** ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾[5] **عنى بذلك غيره**».

وفي مورد آخر، يُخاطب الله تبارك وتعالى نبيَّه عيسى عليه السلام بقوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾[6].

إنّ الله جلّ وعلا بخطابه هذا يريد أن يوجِّه السؤال إلى أتباع المسيح عليه السلام، وذلك ليفهمهم أنّ اعتقادهم بألوهيّة عيسى عليه السلام شرك محض.

---

(1) سورة الإسراء، الآية 89.
(2) سورة المؤمنون، الآية 44.
(3) سورة يس، الآية 14.
(4) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص631.
(5) سورة الإسراء، الآية 74
(6) سورة الإسراء، الآية 74

ويجب على المبلِّغ أن يلتفت إلى تعابيره، وعليه أن يراعي استعمال الكناية خاصّة في المسائل والأمور الجنسيّة حتّى لا تترك المسائل وخصوصاً على الشباب أثراً سيِّئاً، وهذا الدرس نتعلّمه من القرآن الكريم، حيث يُعبِّر عن العمل الجنسي بـ«الملامسة»: ﴿... وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾[1].

7. أسلوب السؤال والجواب:

إنّ من أهمّ وسائل التبليغ، أسلوب السؤال والجواب. وقد حفلت المكتبة الإسلاميّة بكثيرٍ من الكتب الّتي أخذت هذا الأسلوب، ونذكر منها على سبيل المثال كتاب الاحتجاج للطبرسيّ، وهو كتاب يشتمل على أنواع احتجاجات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة الأطهار عليهم السلام، وككتاب علل الشرائع، وكتاب توحيد المفضّل، وكتاب المراجعات، وتدخل كتب الاستفتاءات تحت هذا النوع من الكتب، وهو نوع من أنواع العمل التبليغيّ.

وقد يُطرح الموضوع المقصود ضمن سؤال، من غير حاجةٍ إلى الجواب عنه، لأنّ الهدف هو إثبات ذلك الموضوع نفسه، كقوله عزّ وجلّ: ﴿... أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ...﴾[2].

وقوله جلّ وعلا: ﴿... هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...﴾[3].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿... ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ...﴾[4].

وجميع هذه الأسئلة لا تقصد بالواقع إلّا إثبات أفضليَّة المؤمن والعالم ووحدانيّة اللّه عزّ وجلّ...

وقد يُطرح السؤال على نحو الحقيقة، فلا بُدَّ مِنَ الجواب. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة الأطهار ومنهم أمير المؤمنين عليه السلام يحثّون الناس على السؤال، كقول أمير المؤمنين عليه السلام مراراً: «**...فاسألوني قبل أن تفقدوني...**»[5].

(1) سورة المائدة، الآية 116.
(2) سورة السجدة، الآية 18.
(3) سورة الزمر، الآية 9.
(4) سورة يوسف، الآية 39.
(5) نهج البلاغة، مصدر سابق، ص 137.

ولكلٍّ من السؤال والجواب آداب لا بُدّ من الالتزام بها، مثلاً: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ...﴾[1].

فقد يكون السؤال بلا فائدة، وقد يكون ظريفاً ويشتمل جوابه على مسائل دقيقة لا بدّ من بيانها، قال تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ...﴾[2].

وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ...﴾[3].

وقد يكون السؤال مغرضاً، فلا بُدّ من المرور عليه وتجاوزه بذكاء.

وللجواب, كما ذكرنا، آداب خاصّة:

ـ إيجاد الاستعداد لدى السامع:

ومن ذلك قول الإمام الرضا عليه السلام في حديث سلسلة الذهب، الّذي قاله لأهل نيسابور، فإنّه عليه السلام بعد أن مشى خطوات، أخرج رأسه من المحمل قائلاً: «**... وأنا من شروطها...**»[4].

وقد وردت آيات قرآنيّة كريمة تفيد المعنى نفسه: ﴿... ٱللَّهُ أَعْلَمُ...﴾[5]. ﴿... وَإِنْ أَدْرِىٓ...﴾[6]. ﴿... قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى...﴾[7].

- الجواب المختصر المفيد: كأن يسأل السائل عن مورد خاصٍّ، فيجيبه الإمام عليه السلام بقوله: «**كلّ شيء نظيف حتّى تعلم أنه قذر...**»[8].

---

(1) سورة المائدة، الآية 101.
(2) سورة البقرة، الآية 217.
(3) سورة البقرة، الآية 189.
(4) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، مصدر سابق، ج2، ص145.
(5) سورة هود، الآية 31.
(6) سورة الأنبياء، الآيات 109-111.
(7) سورة الأعراف، الآية 187.
(8) الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، تحقيق وتعليق السيد حسن الموسويّ الخرسانّي، دار الكتب الإسلاميّة، إيران - طهران، 1364ش، ط3، ج1، ص285.

- الجواب مدعومٌ بالدليل: كأن يُقال: إنّ رسول اللّه ﷺ أجاب عن هذا السؤال بكذا...

أو يُقال: فلان العلاّمة المفسِّر قال:...

وقد كان أئمّتنا عليهم السلام يقولون: «**كلّ ما نقوله فهو عن رسول اللّه** ﷺ».

- أن يكون الجواب مبّسطاً: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ...﴾[1].

- أن يستفاد في الجواب من فنّ التمثيل: كيف تحيي الموتى؟ قال ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ...﴾[2].

سأل سهل بن الحسن الخراسانيّ الإمام الصادق عليه السلام:... ما الّذي يمنعك أن يكون لك الحقّ وتقعد عنه؟ قال الإمام عليه السلام بعد كلام له: «**... قم فاجلس في التنّور! فقال الخراسانيّ: يا سيّدي يابن رسول الله لا تُعذّبني بالنار، أقلني أقالك اللّه، قال: أقلتك...**»[3].

وكان ذلك منه عليه السلام إشارة إلى عدم وجود المناصرين المطيعين.

وكذلك عندما سُئل عليه السلام السؤال نفسه، فقال: «**والله يا سدير لو أنّ لي شيعة بعدد هذه الجداء لما وسعني القعود**»... يقول سدير فلمّا فرغنا من الصلاة عطفت على الجداء فعددتها فإذا هي سبعة عشر[4].

وقد سئُل عليه السلام مرّة عن «**الجبنة**» حلالٌ أم حرام؟

فأرسل عليه السلام غلامه قائلاً له: اشتر جبناً، ثمّ جلس يأكل «**الجبن**» مع السائل.

(1) سورة القمر، الآية 17.
(2) سورة البقرة، الآية 260.
(3) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج47، ص123.
(4) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص243.

المفاهيم الرئيسة

1. من أساليب التبليغ في القرآن الكريم: أسلوب تحقير المتكبّرين وجعلهم يعترفون بالحقّ، أسلوب القياس والمقارنة أسلوب إعطاء البديل وعدم نكران الحاجات الفطريّة، أسلوب اختيار الأمثل والأفضل وتعريف الناس به، أسلوب الاستفادة من القلوب الحاضرة، وتكرار الموضوع، أسلوب الإيحاء غير المباشر، أسلوب السؤال والجواب.
2. أسلوب تحقير المتكبّرين: وفي القرآن الكريم نماذج كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[1].
3. أسلوب القياس والمقارنة: وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾[2].
4. أسلوب إعطاء البديل وعدم نكران الحاجات الفطريّة: فإنّ الإسلام لا يُخالف الفطرة والغرائز الإنسانيّة، لذلك نلاحظ اهتمامه بتلك الغرائز فلا يُحمِّلها أكثر من طاقتها أبداً.
5. اختيار الأمثل والأفضل وتعريف الناس به: وأفضل نموذج للعمل بهذا الأسلوب في القرآن الكريم تعريفه للنموذج الصالح والأسوة الحسنة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾[3].
6. أسلوب الاستفادة من القلوب الحاضرة، وتكرار الموضوع: قد يقتضي المقام تكرار المواضيع، وقد استعمل القرآن الكريم هذا الأسلوب فعلى سبيل المثال الآية الشريفة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[4] فقد تكرّرت في سورة الرحمن 31 مرّة.

(1) سورة الأعراف، الآية 179.
(2) سورة يوسف، الآية 39.
(3) سورة الأحزاب، الآية 21.
(4) سورة الرحمن، الآية 13.

7. الإيحاء غير المباشر: وذلك على نحو: «إيّاك أعني واسمعي يا جارة». وقد نزل القرآن الكريم بهذا الأسلوب، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**... نزل القرآن بإيّاك أعني واسمعي يا جارة**».

8. أسلوب السؤال والجواب: وهو من الأساليب المهمّة في التبليغ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأسلوب في العديد من آياته ﴿يَسْـَٔلُونَكَ...﴾ ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾.

الدرس الحادي عشر:

العلاقة بين المبلّغ والنّاس

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يفهم وظيفة المبلّغ تجاه الناس ويدرك أنّها الهداية أو إلقاء الحجّة.

2 . يتعرف إلى دور كسب مودّة الناس في التبليغ.

3 . يشرح مسؤوليّات الناس تجاه المبلغ.

تمهيد

لعلَّ من أعقد الموضوعات وأهمّها في محاولة استكشاف النظريّة الإسلاميّة في التبليغ هو «**موقع الناس**» في العمليّة التبليغيّة، وما «**هو الأساس**» الّذي يجري التعامل في ضوئه مع الناس. فـ «**الفرد المستمع**» أو «**الجماعة المستمِعون**» هل هم الهدف في العمل التبليغيّ بحيث يكون المقصود من الحركة التبليغيّة والدافع الكامن وراءها هو «**هداية الناس**»، فإذا تحقّق ذلك نجحت المهمّة وإلّا باءت بالفشل. أم «**الناس**» هم ميدان الحركة التبليغيّة، والموضوع الّذي نتحرّك في داخله، وليس هو الهدف، إنّما الهدف هو إقامة الحجّة، وإيصال صوت الحقّ، وتبيين الأحكام والحقائق للناس ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ﴾[1]، أمّا هدايتهم فعلاً فتلك قضيّة أخرى قد تتحقّق وقد لا تتحقّق، وليست هي المعيار الّذي يُستند إليه في حصول النجاح في العمل التبليغيّ أم لا؟

مسؤوليّات المبلّغ تجاه الناس

1. مهمّة إلقاء الحجّة أو الهداية:

نستعرض بداية مجموعة من النصوص لتسليط الضوء على المسألة، فهناك عدّة آيات تدلّ على هذا الموضوع:

قال الله تعالى في تحديد مهمّة الأنبياء عليهم السلام: ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾[2].

وقال تعالى مخاطباً نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾[3].

---

(1) سورة الأنعام، الآية 149.

(2) سورة النحل، الآية 35.

(3) سورة الشورى، الآية 48.

وقال تعالى وهو يتحدّث عن منطق الأنبياء وهدفهم: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1].

وقال تعالى وهو يوصي نبيّه بعدم الاكتراث والحزن والحسرة على عدم استجابة بعض الناس: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[2].

هذه النصوص القرآنيّة تعطينا إيضاحاً كافياً للمنطق الأعمق في العمل التبليغيّ، وهو ما تشرحه الآيات:

﴿قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾،﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.

وفي ضوء ذلك سوف لا يكون المقياس في النجاح والإخفاق هو مدى طاعة الناس واستجابتهم، وتقبّلهم لدعوة الأنبياء عليهم السلام أو عدم تقبّلهم، إنّما النجاح والإخفاق منوط بمدى الاقتدار في الأداء الحسن، والبلاغ المبين، والموعظة الأبلغ.

فلم يكن النبيّ نوح عليه السلام خاسراً حين أعرض عنه قومه فناجى ربّه قائلاً: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾[3].

والنتيجة هي: «**إنَّ الناس هم موضوع العمل التبليغيّ وليسوا هدفاً له**».

2. هل نتجرّد عن الرغبة في هداية الناس؟

ولكنّ هل تعني الرؤية السابقة ضرورة التجرّد عن الرغبة في هداية الناس، وعدم التفاعل الوجدانيّ مع آثار العمل التبليغيّ، فلا نفرح إذا اهتدى أحد، ولا نحزن إذا أعرض الناس؟

إنَّ الرغبة في الهداية هي قضيّة لا تنفصل عن وجدان المبلّغ الدينيّ، بل تزداد عنده كلّما ازداد التحاماً مع محبّة الخلق الّذين هم عيال الله وعباده. وليس من الخطأ أن يقصد الأنبياء عليهم السلام إنقاذ الناس من العذاب الأبديّ، وجرّهم إلى الجنّة ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[4].

---

(1) سورة الأعراف، الآية 164.
(2) سورة فاطر، الآية 8.
(3) سورة نوح، الآيتان 5 - 6.
(4) سورة غافر، الآية 41.

وليس من الخطأ أن يتمنّى الأنبياء عليهم السلام هداية الناس ويرجون تقواهم: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ و﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

وليس خطأ أن نفرح بهداية العباد على أيدينا، كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ عليه السلام: «**لئن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك ممّا طلعت عليه الشمس**»[1].

إنّما الخطأ أن ننسى الهدف الأعمق وهو التبيان، وإقامة الحجّة، وطلب رضوان الله، ثمَّ لا يضيرنا بعد ذلك آمن الناس أم كفروا. وقد نستعين لتوضيح الفكرة بمثال إطعام الجائع، فأنت مسؤول عن أن تُطعم الفقير الجائع، وتهدف إلى إشباعه وتفرح إذا شبع، وليس في ذلك أيّة منافاة مع قصد وجه الله في عمليّة الإطعام.

إنّما الخطأ هو أن تكون عمليّة الإطعام بعيدة عن القصد الخالص في طلب أداء الوظيفة الإلهيّة، وممارسة الأخلاق الدِّينيّة، والدواعي النبيلة الإنسانيّة. ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾[2] هذا هو الهدف الأعمق، ثمَّ لا مانع بعد ذلك أن تقصد إشباع الجائع، وكسب مودّته، وتطييب خاطره وما شاكل ذلك. والحال كذلك في العمل التبليغيّ... فأنت تبلّغ رسالات الله، وتطلب رضوان الله، وإقامة الحجّة على العباد بأحسن الموعظة، وأبلغ الحديث، ولا مانع بعد ذلك أن تأمل هدايتهم، وترجو نجاتهم، وتأنس إذا استجابوا، وتحزن إذا رفضوا، شريطة أن لا يتحوّل الحزن إلى شعور بالإخفاق، وندامة على العمل وإحساس بالخسارة، ولعلَّ هذا هو ما قصدته الآية الكريمة: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾[3].

3. كسب مودّة الناس:

يقول الشهيد مرتضى المطهّري: «لأجل أن يكون محتوى الخطاب غنيّاً, لا بدّ من تطابقه مع مشاعر الناس، وإن مراعاة الأحاسيس وإلى حدٍّ ما إشباع المشاعر القويّة للبشر، والانسجام مع حاجات الحياة والحاجات العمليّة والعينيّة (الموضوعيّة) للبشر

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص28.
(2) سورة الإنسان، الآية 9.
(3) سورة فاطر، الآية 8.

يُعَدُّ من شرائط غنى مضمون أيِّ خطاب, وعليه إذا كان الخطاب مضاداً لحاجات البشر الطبيعيّة فلن يكون خطاباً موفَّقاً»[1].

ولا يكاد ينجح عمل المبلِّغ الدِّينيّ دون كسب مودّة الناس، فهو يعمل معهم، ويبغي التأثير فيهم، واستصلاح حالهم، وتوجيههم نحو الخير، وردعهم عن الشرّ، فكيف يصل إلى ذلك إذا حكمت بينه وبينهم قطيعة أو نفروا من الاستماع إليه والاقتراب منه؟!. يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في عهده إلى مالك الأشتر واليه على مصر: «**وليكن أحبَّ الأمور إليك أوسطها في الحقِّ، وأعمّها في العدل، وأجمعها لرضى الرعية، فإنَّ سخطَ العامّة يجحف برضى الخاصّة، وإنّ سخط الخاصّة يُغتفر مع رضى العامّة**»[2].

كما يقول عليه السلام: «**إنَّ أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودّة الرعيّة...**»[3].

أمّا القرآن الكريم فإنّه يقرن النجاح بعنصرين: أحدهما التمسّك بحبل الله تعالى والآخر التمسّك بحبل الناس، حيث يقول عن أهل الكتاب: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[4].

بينما يقول تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[5].

ممّا يُفيد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يجب أن يكون بمستوى من الأخلاق بحيث يكسب مودّة الناس ولا يُنفِّرهم عنه.وتأتي في هذا السياق أيضاً جميع النصوص الواردة في أهميّة التودّد إلى الناس[6].

كما تأتي في هذا السياق أيضاً جميع النصوص الواردة في النهي عن معاداة الرجال، حتّى جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «**ما كاد جبرائيل عليه السلام يأتيني إلّا قال: يا محمّد اتّقِ شحناء الرجال وعداوتهم**»[7].

---

(1) الملحمة الحسينية ج1، ص197 (مجموعة آثار الشهيد المطهّري)، ج17، ص325.

(2) نهج البلاغة، مصدر سابق، ص 429، من عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر عندما ولاه مصر، الكتاب 53. العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 33، ص 601.

(3) نهج البلاغة، مصدر سابق، ص 433. العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 33، ص 604.

(4) سورة آل عمران، الآية 112.

(5) سورة آل عمران، الآية 159.

(6) قد عقد الشيخ الكلينيّ في الكافي باباً خاصّاً لما ورد في هذا الشأن، انظر: الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص 647.

(7) المصدر نفسه، ج2، ص 301، باب المراء والخصومة ومعاداة الرجال.

ويجب أن لا ننظر إلى «**مودّة الناس**» باعتبارها مقياساً للحقّ والباطل، فقد يكون الناس معنا وقد لا يكونون، إنّنا نسعى لهدايتهم وكسب مودّتهم، ونكون لهم أباً رحيماً لا سبعاً ضارياً، إلا أنّهم قد لا يكونون أهلاً للهداية ولا يستجيبون لداعي الحقّ. ولقد أعرض أكثر الناس عن أهل البيت عليهم السلام حتّى قال الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام «**ما بمكّة والمدينة عشرون رجلاً يُحبّنا**»[1]. ولقد أعرض أكثر الناس عن الأنبياء عليهم السلام حتّى قالوا فيهم: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾[2].

لاحظوا ماذا يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**رحم الله عبداً اجترّ مودّة الناس إلينا**»[3].

فالمطلوب هو كسب المودّة للدِّين، وأئمّة الدِّين، وقضايا الدِّين.

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام في أصناف الناس المنحرفين: «**جاهل متردٍّ معانق لهواه، وعابد متقوٍّ كلّما ازداد عبادة ازداد كبراً، وعالم يريد أن يوطأ عقباه ويحبّ محمدة الناس...**»[4].

وهكذا قد تتحوّل عمليّة كسب مودّة الناس إلى انحراف وضلال حينما تكون هي الهدف.

4. الانفتاح على الجمهور:

يقول الإمام عليّ عليه السلام في عهده لمالك الأشتر: «**وأمّا بعد، فلا تطولنّ احتجابك عن رعيّتك، فإنّ احتجاب الولاة عن الرعيّة شعبة من الضيق، وقلّة علم بالأمور...**»[5].

كما يقول عليه السلام في موضع آخر من العهد: «**واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرّغ لهم شخصك، وتجلس لهم مجلساً عامّاً فتتواضع فيه لله الّذي خلقك، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطتك، حتّى يُكلّمك متكلّمهم غير متعتع، فإنّي قد**

(1) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 34، ص 297.
(2) سورة هود، الآية 27.
(3) الشيخ الصدوق، الأمالي، مصدر سابق، ص 99. العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج2، ص 30.
(4) العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 2، ص 50.
(5) نهج البلاغة، مصدر سابق، ص 441، من عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر عندما ولاه مصر، الكتاب 53. العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 74، ص 260.

سمعت رسول الله ﷺ يقول في غير موطن: لن تُقدّس أمّة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوي غير متعتع»[1].

وهكذا يتعيّن على المبلِّغ الدِّينيّ أن يكون قريباً من الناس، حاضراً عندهم، يستطيع أن يصل إليه صاحب المسألة والحاجة.

وهنا يجب أن نلفت النظر إلى أنّ الانفتاح على الناس والاقتراب منهم، يجب أن لا يكون على حساب العلم والعمل، وتنظيم الأوقات؛ فمن الخطأ أن يستهلك المبلِّغ الدِّينيّ كلّ وقته في الاستماع لأحاديث الناس، فيلهو بذلك عن مشاغله الأخرى العلميّة والعمليّة، وتسقط هيبته في أعينهم، بل المفروض أن يجعل للناس وقتاً خاصّاً يلتقيهم فيه، كما قال أمير المؤمنين: «**واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك**».

وكما جاء في عهده لمالك الأشتر: «**فلا تطولنّ احتجابك عن رعيّتك**».

فالنهي إنّما جاء عن طول الاحتجاب، وليس عن الاحتجاب الّذي يتطلّبه تنظيم العمل والوقت.

مسؤوليّات الناس تجاه العلماء

لم تكتف الشريعة الإسلاميّة بالحديث عن مسؤوليّة العلماء والمبلِّغين تجاه الناس، بل دعت في المقابل الناس إلى العلاقة المثلى مع العلماء والمبلِّغين من حيث وجوب الاحترام، والتواضع لهم، والاهتمام الجدّيّ بتوجيهاتهم ونصائحهم، لكونهم المرجعيّة الدِّينيّة للناس، وهذا ما نفهمه من كثير من الروايات، نورد أهمّها:

5. محاسبة الناس:

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**ثلاثة يشكُون إلى الله عزّ وجلّ: مسجد خراب لا يُصلّي فيه أهله، وعالِم بين جُهّال، ومصحف معلّق قد وقع عليه غبار لا يُقرأ فيه**»[2].

(1) نهج البلاغة، مصدر سابق، ص 439، من عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر عندما ولاه مصر، الكتاب 53. العلاّمة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 74، ص 258.

(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص613.

6. **وجوب إكرام العلماء:**

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من أكرم فقيهاً مسلماً لقي الله يوم القيامة وهو عنه راضٍ ومن أهان فقيهاً مسلماً لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان**»[1].

ثمَّ تمضي الأحاديث الشريفة في استعراض صور الإكرام والتقدير والاحترام للعالم الدِّينيّ حتّى تذكر منها:

- التواضع للعالِم.
- حسن الاستماع إليه.
- عدم رفع الصوت بحضوره.
- الصمت وعدم الحديث مع أحد في مجلس العالِم.
- الدفاع عنه.
- الثناء عليه وذكر فضائله وستر معايبه.
- مقاطعة أعدائه.
- القيام له احتراماً وتعظيماً.
- عدم مقاطعته إذا تحدّث.
- عدم إزعاجه بكثرة الأسئلة.
- أن يخصّه بالسلام ويعمّ القوم بسلام آخر.
- أن يجلس بين يديه.
- السِباق إلى خدمته إن كان لديه حاجة.
- أن لا يُفشي له سرّاً.
- ويُمكن أن نقرأ بهذا الصدد بعض الأحاديث الشريفة:

فقد ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام قوله:

«**وحقّ سائسك بالعلم[2] التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه،**

(1) ابن أبي جمهور الأحسائيّ، عوالي اللئالي، مصدر سابق، ج 1، ص 359.

(2) السائس بالعلم هو المرشد والمبلِّغ الدِّينيّ.

والإقبال عليه، وأن لا ترفع صوتك عليه، ولا تُجيب أحداً يسأله عن شيء حتّى يكون هو الّذي يُجيب، ولا تُحدِّث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه وتظهر مناقبه، ولا تُجالسَ له عدوّاً ولا تُعاديَ له وليّاً، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنّك قصدتَه وتعلّمت علمه لله جلّ اسمه لا للناس»[1].

كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«كان عليّ يقول: إنّ من حقّ العالِم أن لا تُكثر عليه السؤال، ولا تجرّه بثوبه، وإذا دخلت عليه وعنده قوم فسلِّم عليهم جميعاً، وخصّه بالتحيّة دونهم واجلس بين يديه ولا تجلس خلفه ولا تغمز بعينيك ولا تُشر بيديك، ولا تُكثر من قول قال فلان وقال فلان خلافاً لقوله ولا تضجر بطول صحبته فإنّما مثل العالِم مثل النخلة يُنتظر بها متى يسقط عليك منها شيء، والعالِم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله»[2].

7. حرمة إيذاء العالِم:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«ولا تُحقِّرنّ عبداً آتاه الله علماً، فإنّ الله لم يُحقّره حين آتاه إيّاه»**[3].

وقال عليه السلام: **«لا تجعلنّ ذرب لسانك على من أنطقك وبلاغة قولك على من سدّدك»**[4].

كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: **«من أهان فقيهاً مسلماً لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان»**[5].

---

(1) الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ بن بابويه، من لا يحضره الفقيه، تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة، إيران - قم، لا.ت، ط2، ج 2، ص 620.

(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج 1، ص 37.

(3) الكراجكي، الإمام العلامة أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان، كنز الفوائد، مكتبة المصطفويّ، إيران - قم، 1369ش، ط2، ص 147.

(4) نهج البلاغة، مصدر سابق، ص 548.

(5) ابن أبي جمهور الأحسائي، عوالي اللئالي، مصدر سابق، ج 1، ص 359.

8. وجوب الدفاع عن العلماء:

وقد أكّدت الشريعة الإسلاميّة على وجوب احترام العلماء والاحتفاء بهم حتّى أوجبت الدفاع عنهم ومقاطعة خصومهم.

فقد ورد عن الإمام السجاد عليه السلام: «**وأن تدفع عنه إذا ذُكر عندك بسوء**».

«**وأن... لا تُجالسَ له عدوّاً ولا تُعادي له وليّاً**».

9. عدم تتبّع عثرات العالِم:

وأكّدت الشريعة الإسلاميّة حرمة تتبُّع عثرات العالِم الدِّينيّ وتتبُّع أخطائه وزلّاته.

لاحظ قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّما الخوف على أمّتي من بعدي ثلاث خصال أن يتأوّلوا القرآن على غير تأويله، أو يتبعوا زلّة العالِم، أو يظهر فيهم المال حتّى يطغوا ويبطروا**»[1].

وتجدرُ الإشارة إلى أنّ الأحاديث الّتي استعرضت حقوق العالِم الدِّينيّ إنّما عنت علماء الدِّين المتصدِّين لهداية الناس والمتحمّلين لمسؤوليّاتهم تجاه الأمّة، ولا العالِم المتاجر بعلمه أو الطالب للراحة والدعة والقاعد عن حمل أمانة الأنبياء عليهم السلام.

إنّ الإمام السجاّد عليه السلام إنّما تحدّث عن حقّ «**سائسك بالعلم**» وهو عبارة عن العالِم الّذي يتولّى سياسة الناس ومسؤوليّة إرشادهم، كما أنّ الأحاديث الأخرى إنّما تناولت الحديث عن حقوق العالِم وهو يُعالج جهل الناس ويهديهم بعلمه ويتصدّى لأمورهم فيعاديه بعض الناس ويواليه آخرون.

ومن هنا دعت الأحاديث إلى حسن الاستماع.

(1) الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ بن بابويه، الخصال، تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة، إيران - قم، 1403ه - 1362ش، لا.ط، ص 164.

المفاهيم الرئيسة

1. الناس هم ميدان وموضوع العمل التبليغيّ، وليسوا هم الهدف، إنّما الهدف هو إقامة الحجّة، أمّا هدايتهم فعلاً فقد تتحقّق وقد لا تتحقّق. ولكن هذا لا يعني التجرّد عن الرغبة في هداية الناس.
2. ليس المقياس في النجاح والإخفاق في التبليغ هو مدى طاعة الناس واستجابتهم، وتقبّلهم لدعوة الأنبياء عليهم السلام أو عدم تقبّلهم، إنّما النجاح والإخفاق منوطانِ بمدى الاقتدار في الأداء الحسن، والبلاغ المبين، والموعظة الأبلغ.
3. كما أنّ المبلِّغ لديه مسؤوليّات تجاه الناس، كذلك للناس مسؤوليّات تجاهه، فينبغي إكرام العالم والتواضع له وحسن الاستماع له وعدم إيذائه ووجوب الدفاع عنه وعدم تتبّع عثراته.
4. ينبغي كسب مودّة الناس ولكن لا على حساب رضا الله تعالى.
5. ينبغي للمبلِّغ الانفتاح على مشاكل الناس على أن لا يأخذ ذلك كلّ وقته ويشغله عن أموره العمليّة والعلميّة.
6. ينبغي للمبلِّغ توضيح الحقائق للناس وردّ الشبهات.
7. وينبغي محادثتهم بما يعرفون ولا ينكرون، بمعنى الاجتناب عن طرح المعارف العالية الّتي لا تُطيقها أفهامهم.

الدرس الثاني عشر:

المُخاطَبون (الجمهور)

أهداف الدرس

على المتعلّم مع نهاية هذا الدرس أن:

1 . يتعرّف إلى أهمّيّة معرفة المخاطبين في التبليغ.

2 . يفهم تأثير معرفة خصائص المخاطبين في التبليغ.

3 . يشرح موانع استجابة المخاطبين.

تمهيد

يُعَدُّ المُخاطَب أحد الأركان الهامّة في التبليغ، والسبب في ذلك أنّه لو كان لدينا أفضلُ خطابٍ جامعٍ للشروط كلِّها، إلا أنّه لم يلحظ معرفة المخاطَب وواقعه، فلن يكون لمثل هذا الخطاب نتائجه المرجوة.

وهو الرّكن الثالث في التّبليغ هو المخاطب، ومع وجوده يتحقّق معنى التبليغ. إذ إنَّ المخاطَب يسعى من خلال الارتباط بالمبلّغ (المخاطِب) إلى أنْ يأخذ خطابه على أفضل نحوٍ ممكن، هذا وإنّ أفضل نوعٍ للارتباط بين المخاطِب والمخاطَب هو كونه بواسطة العقل والفكر.

ضرورة معرفة المخاطبين

روي عن نبي الإسلام الأكرمْ أنّه قال: «**إنَّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلّم الناس على قدْر عقولهم**»[1].

إنّ معرفة المخاطبين تعني التعرّف إلى المتلقّين للخطاب الدينيّ والتبليغيّ، ومعرفة خصوصيّاتهم الفرديّة والاجتماعيّة العامّة.

وبناءً عليه، فإنَّ أهمّ المعطيات التي لا بدّ من تحصيلها عن المخاطبين:

1. معرفة ميزان الاستعداد الفكريّ والروحيّ ومقدار علمهم ومعرفتهم.
2. معرفة اتّجاهاتهم وآرائهم ومعتقداتهم وارتباطاتهم واهتماماتهم.
3. معرفة لغة المخاطبين.

---

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص 23.

4. معرفة فئاتهم العمريّة: الأطفال، الفتية، الشباب، الكهول والعجزة.
5. معرفة جنس المخاطب؛ هل هم ذكور أم إناث؟
6. معرفة أوضاعهم الاجتماعيّة والاقتصاديّة.
7. معرفة بيئتهم ومكان عيشهم.
8. الاطّلاع على كونهم عزّاباً أو متأهّلين.
9. آدابهم وتقاليدهم وأعرافهم الوطنيّة والمحلّيّة.
10. معرفة حاجاتهم.
11. الاطّلاع على سوابقهم الثقافيّة والاجتماعيّة والسياسيّة.

خصائص المخاطبين

1. العلم والمعرفة:

لا بدّ للمبلّغ الذي يودّ إيصال خطابه إلى المخاطبين أن يلاحظ، قبل كلّ شيء، مستوى العلم والمعرفة عندهم، لأنَّ إرسال الخطاب إلى المخاطبين، إنْ لم يكن على أساس العلم والمعرفة، فلن تُثمر جهود المبلّغ في تحقيق أهدافه. ورد في الحديث الشّريف عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«**ما كَلّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العباد بكنه عقله قطّ**»[1]. أي إنّ معيار كلامه صلى الله عليه وآله وسلم كان على مستوى درجات العلم والمعرفة عند المخاطبين.

وعن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً أنّه قال: «**...كانا (رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام) يحدّثانه (سليمان) بما لا يحتمله غيره من مخزون علم الله ومكنونه**»[2]. بناءً على ما تقدّم، ينبغي قبل توجيه الخطاب، أن نعرف مستوى العلم عند المخاطبين والمتلقّين.

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص 23.
(2) العلامة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج22، ص331.

2. المعتقَد وتقسيم المخاطبين بحسب الاعتقادات:

الاعتقاد والمعتقد في اللّغة، بمعنى قبول الكلام وتصديقه والاعتقاد به[1]. وهنا لا بدّ من الالتفات دائماً إلى معتقدات المخاطبين الدّينيّة لأنّ مثل هذه المعتقدات المذهبيّة عند المخاطَبين، هي التي تُشَخِّصُ في الواقع شكل وكيفيّة التبليغ عندَهم ومعهم.

إنّ الانتصار النهائيّ في تبليغ الدين إنّما يحصل عندما نتعرّف – وقبل توجيه الخطاب- إلى المعتقدات الدينيّة عند المخاطبين وحسب، ومن ثمّ وبالتناسب معها نقدّم الخطاب الملائم لها. وبنظرة إجماليّة وكلّيّة، يمكن تقسيم المخاطبين إلى ثلاثةِ أقسام:

القسم الأول: هم الذين لديهم الاستعداد المناسب لتلقّي الخطاب، بحيث إنّهم وبمجرّد الاستماع إليه يقبلونه ويؤمنون به. ونظير هؤلاء: أولئك الذين كان رسول الله ﷺ يخاطبهم وكما يصفهم القرآن الكريم قائلاً:

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[2].

القسم الثاني: وهو الشّامل لأغلب المخاطبين وهم الملتزمون إلى حدٍّ مقبولٍ بالمباني الدينيّة والإلهيّة؛ إلاّ أنّهم لا يتمتّعون بالعمق الكافي في إيمانهم وأعمالهم، لذا فإنّهم بحاجةٍ دائمةٍ إلى التوعية والإرشاد: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[3].

القسم الثالث: وهم الذين يرفضون بشكلٍ قاطعٍ تلبية نداء الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[4].

وبناءً على ذلك، فإنَّ بعض المخاطبين يحتاج أحياناً، لقبول الخطاب، إلى مجرّد إلقاء الضوء عليه (إشعال الفتيل أي بمعنى تذكيره فقط)، وأحياناً أخرى يحتاج بعضهم إلى

(1) لغت نامه دهخدا (قاموس دهخدا)، ذيل مادة معتقد.
(2) سورة المائدة، الآية 83 .
(3) سورة الروم، الآية 30.
(4) سورة البقرة، الآية 6.

تذكيرٍ قويّ ومتكرّر (موجة كبيرة ومتلاطمة)؛ والقسم الثالث ليس لديه أيّ استعداد للقبول بأيِّ شيءٍ أصلاً ولأجل التواصل مع هؤلاء لا بدّ من وضع السَّوط جانباً حتى نتمكّن من إقامة الارتباط السليم والصحيح معهم.

ويشير النبيّ الأكرم ﷺ إلى تفاوت المخاطبين قائلاً: «**الناس معادن كمعادن الذهب والفضّة**»[1].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّ سلمان الفارسيّ كان مشغولاً بوعظ الناس، والنبيّ ﷺ ينظر إليه، وعندما التفت إلى المستوى الرفيع الذي يتكلّم به سلمان لم يرض بذلك ونهى سلمان عن ذلك قائلاً:

«**إذا رأيتَ من هو أسفل منك درجةً فارفعه إليك برفق، ولا تحملنّ عليه ما لا يطيق فتكسره فإنَّ من كسر مؤمناً فعليه جبره**»[2].

3. السن:

عن رسول الله ﷺ: «**علِّموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعاً**»[3]. إنّ التوجّه والالتفات إلى سنّ المخاطب يُعتبر من المسائل الهامّة جدّاً في موضوع التبليغ. ويشير الخبراء وعلماء النفس في مجال رشد الإنسان ونموّه، إلى أنّه لا بدّ من ترقّب سلوك خاصّ عند الأفراد في كلِّ مرحلةٍ عمريّة، وذلك بسبب التغيّرات الحاصلة عندهم. والسبب في ذلك، أنّ كلَّ إنسانٍ في المراحل العمريّة المختلفة يمتاز بروحيّات وسلوكيّات مختلفة، وكذلك فإنّه بسبب النموّ العضلاتيّ والجسمانيّ، يمرُّ بتحوّلٍ وتغيّرٍ أيضاً من الناحية النفسيّة[4].

ومع الالتفات إلى هذه النظريّة فمن الضروريّ، ولإيجاد أكبر قدرٍ من التأثير عند المخاطبين، أنْ نقسِّمهم باللحاظ العمريّ إلى فئة الأطفال والناشئة، وفئة الشباب وأخيراً كبار السنّ؛ وتؤيِّد الروايات الإسلاميّة مثل هذا التقسيم، كما ورد في رواية عن الإمام

(1) العلامة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج58، ص65.
(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص45. العلامة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج22، ص351.
(3) الشيخ محمّد الريشهريّ، ميزان الحكمة، تحقيق ونشر دار الحديث، لا.م، لا.ت، ط1، ج1، ص56.
(4) انظر: شيوه هاى تعليم در قرآن وسنت (أساليب التعليم في القرآن والسنة)، ص67.

الصادق عليه السلام حيث يقول: «**دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدَّب سبعاً وألزمه نفسك سبع سنين**»[1].

ويقول عليه السلام في رواية أخرى «**احملْ صَبيَّك تأتي عليه ستّ سنين، ثمَّ أدّبه في الكتاب ست سنين، ثم ضمّه إليك سبع سنين فأدِّبه بأدبك**»[2].

ويجب أنْ نشير هنا إلى أنَّ سلوك الطفل العاطفيّ والاجتماعيّ يتشكَّل من خلال الارتباط البنّاء مع الأب والأم والمربي وغيرهم؛ وفي هذه المرحلة، فإنّه لا تأثير بتاتاً للنقاشات العقليّة والأوامر والنواهي المباشرة، وفي المقابل فإنّ السبيل النافع في هذا المجال، هو الرفق والمداراة والابتعاد عن الشدّة التي تكون في غير موضعها.

لنسعَ من خلال إيجاد التواصل البنّاء مع الأطفال إلى تنمية الاستعداد اللاّزم عندهم، من أجل التحصيل والتعليم، يقول الإمام علي عليه السلام: «**من لم يتعلّم في الصغر لم يتقدّم في الكِبَر**»[3].

وفي هذا المجال، فإنَّ ذكر القصص الجميلة، مضافاً إلى عرض الصور والأفلام والأشعار والأناشيد الدينيّة، والاستفادة من المناظر الطبيعيّة الرائعة، كتساقط الثلج والمطر، وتفتّح الورد وتولّد الحيوانات وغير ذلك، فإنّها تلعب دوراً هامّاً وفعّالاً في إحياء الحسّ الدينيّ، وقبول التعاليم الدينيّة لدى الأطفال[4].

ومن المفيد جدّاً في مرحلة البلوغ أن نهيّئ هؤلاء للاهتمام بالمسائل الدينيّة وتحمّل المسؤوليّة والقيام بالواجبات الدينيّة.

4. الجنس:

إنَّ الالتفات إلى جنس المخاطب كان دائماً مورد اهتمام المبلّغين الكبار. وأنتم أيّها المبلّغون المحترمون، تدركون جيّداً وجود الاختلاف ما بين الرجل والمرأة، ومن جهاتٍ

(1) العلامة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج101، ص95.
(2) المصدر نفسه.
(3) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص463.
(4) السيد مهدي برومند، أساليب التعليم في القرآن والسنّة، آموزش مفاهيم دينى (تعليم المفاهيم الدينية) ناصر باهنر.

متعدّدة. حيث إنّهما، وبغضّ النظر عن الاختلاف الجسمانيّ، يختلفان أيضاً من الناحية النفسيّة والعاطفيّة، وبالتالي فإنّ الالتفات إلى هذا التفاوت، له دورٌ كبير في كيفيّة عرض الخطاب وتأثيره.

ويعتقد الأستاذ المطهّري (رض) أنّ الرجل والمرأة في الإسلام، ولكون أحدهما رجلاً والآخر امرأةً، لا يشتركان في العديد من الجهات؛ ولهذا السبب تطلّب الأمر أيضاً عدم اشتراكهما في العديد من الحيثيّات سواء من حيث الحقوق، التكاليف، والعقوبات[1].

وإنَّ المرأة وبالمقايسة مع الرجل أكثر هدوءاً وميلاً إلى المسالمة وأشدّ عاطفة، وهي تتأثر بسرعة من الناحية العاطفيّة. ولذا نرى إحساس الأمومة موجود في حياة المرأة منذ طفولتها، والمرأة ليس لها مزيد علاقة بالعلوم الاستدلاليّة والعقليّة الجافة، وفي المقابل فإنّها ترغب في الأمور الأدبيّة والفنيّة وسائر المسائل المرتبطة بالذوقيّات.

بعض الملاحظات المرتبطة بالتبليغ عند الأخوات:

1. من المناسب تبيين البحوث المرتبطة بمكانة المرأة في الإسلام، ودورها التربويّ في العائلة والمجتمع، فلسفة حجاب المرأة في الإسلام، دور المرأة في انتصار الثورة الإسلاميّة واستمرارها في هذا الدور.
2. الحديث حول التفاوت الموجود بين المرأة والرجل بعنوان كونه من آيات الله لحفظ السكن والمودّة والرحمة بينهما.
3. تبيين كيفيّة تبليغ دين الله والدفاع عنه من قبل السيّدة الزهراء عليها السلام والسيّدة زينب عليها السلام وسائر النساء عند حصول الأزمات والفتن وفي مواجهة المستعمِرين.
4. يجب أن نضع نُصب أعيننا في مجال التّبليغ عند النساء مُفاد آية بيعة النساء للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ

(1) السيد مهدي برومند، أساليب التعليم في القرآن والسنّة، مصدر سابق، ص136.

﴿وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

5. تبيين مسألة مشاركة النساء في البيعة تحت عنوان اهتمام الإسلام بمكانة المرأة الاجتماعيّة.

موانع استجابة المخاطبين

نتعرّض في هذا القسم من الدرس إلى تحليل موانع قبول الخطاب من جانب المخاطبين:

1. الإصرار على سيرة الماضين:

إنّ إصرار الناس على معتقدات السابقين شكّلَ دائماً أحد الموانع الكبرى لقبول الدين عندهم:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ...﴾[2].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ...﴾[3].

وفي أيّامنا هذه، فإنّنا نشاهد في بعض المدن والقرى جملةً من الآداب والتقاليد لا تتوافق مع الدين، وهي مبنيّة بشكلٍ صرفٍ على سيرة السابقين والآباء، ولا يوجد عليها أيّ دليلٍ عقليٍّ أيضاً.

ولذا لا بدّ لك أيّها المبلّغ المحترم وضمن تنبيه الناس أن تعمل على تفهيمهم جذوراً تُشكِّلُ مثلَ هذه الآداب والتقاليد الخاطئة حتّى تضيق لديهم مجالات تقبُّل هذا النوع من السنن الجاهلية.

2. الشَّخصنة:

لطالما وُجِد على مرّ التاريخ بعض الشخصيّات السلبيّة التي أثّرت على فكر أغلب الناس وإرادتهم. وقد ساهم في مضاعفة هذا التأثير وجود عوامل منحطّة نظير الثروات غير الشرعيّة، واستعمال القوّة، والحيلة والمكر.

---

(1) سورة الممتحنة، الآية 12.
(2) سورة المائدة، الآية 104.
(3) سورة البقرة، الآية 170.

وقد اعتبر القرآن الكريم أنّ من أهمِّ العلل الأساسية لعدم قبول الحقّ عند بعض الناس هو اتّباعهم لأمثال هذه الشخصيّات: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾[1].

«**السادة**» جمع «**سيد**» وهم المالك العظيم الذي يتولّى إدارة المدن المهمّة أو الدول، و«الكبراء» جمع «**كبير**» وهو الفرد الكبير سواء من ناحية السنّ أو العلم أو المركز الاجتماعيّ وأمثال ذلك. وبهذا فإنّ السادة إشارةٌ إلى رؤساء البلاد العظام، والكبراء هم الذين يتولّون إدارة الأمور تحت إشراف أولئك السادة ويُعتبرون معاونين ومشاورين لهم. وكأنّهم يقولون: إنّنا قد جعلنا طاعة السادة محلّ طاعة الله، وطاعة الكبراء محلّ طاعة الأنبياء، فابتلينا بأنواع الانحرافات والتعاسة والشقاء[2].

وأفضل طريق للحدّ من هذا النوع من الانحراف هو معرفة الحقّ وأهله، لأنّه من خلال ذلك سوف يُعرف الباطل وأهله أيضاً. يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**لا يعرف الحقّ بالرجال، اعرف الحقّ تعرف أهله**»[3].

3. عبادة الهوى:

«**الهوى**» في اللغة بمعنى الحبّ والاشتهاء، وغلب استعماله في الموارد غير المشروعة والقبيحة والمذمومة[4].

من المقطوع به وجود ميول في أصل وجود الإنسان تُعَدُّ ضروريّةً لإدامة حياته وبقائه، ولكن إذا تجاوزت هذه الميول حدّها فإنّها تصبح حاكمةً ومسيطرةً على وجود الإنسان، وتأخذ زمام اختياره وإرادته بيدها، وهذا ما يُعَبَّرُ عنه بعبادة الهوى الذي لا يجتمع مع الدين ولا العقل.

(1) سورة الأحزاب، الآية 67.
(2) الشيخ نار مكارم الشيرازي، تفسير نمونه (تفسير الأمثل)، مصدر نفسه، ج17، ص440.
(3) العلامة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج40، ص126.
(4) المصدر نفسه، ص 168.

قال الإمام عليّ عليه السلام: «**لا دين مع هوى**»[1]. و«**لا عقل مع هوى**»[2].

وقد اعتبر القرآن الكريم أيضاً أنَّ اتّباع النفس وعبادة الهوى يُعَدُّ ضلالاً فقال: ﴿... وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾[3].

4. اتّباع الظنّ والشك:

من جملة موانع وصول الإنسان إلى الحقّ اتّباع الظنّ والشكّ. وبرغم أنّنا نستند إلى الظنّ والتخمين في حياتنا اليوميّة، إلاّ أنَّ الاستناد إليها في مسألة انتخاب طريق الحقّ لن يؤدّي إلاّ إلى الخسران والضلال.

وفي هذا المجال يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[4].

ويعتبر القرآن الكريم أنّ سبب ضلالة الضّالّين هو ظنُّهم الملوَّث بالهوى والهوس، ويقول في آية أخرى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ...﴾[5].

ثمّ إنَّ عدم الاتّباع له معنىً واسع، بحيث يشمل المسائل الاعتقاديّة وغير الاعتقاديّة. وفي نظر القرآن فإنَّ معيار المعرفة هو العلم واليقين وأمّا غير ذلك فلا يمكن الاعتماد عليه لأنَّه يهيِّئ الأرضيّة اللاّزمة لانحراف الإنسان عن طريق الحقّ. وقد اعتبر القرآن الكريم أنَّ العين والأذن والقلب مسؤولون: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾. وأنت أيّها المبلِّغ العزيز يجب أن توضّح لمخاطبيك بأنَّ الإنسان إذا اتّبع الظنّ والحدس فلن يُحصِّل سوى الانحراف عن الحقّ والحقيقة ومرضاة الله عزّ وجلّ.

5. اللّجاجة والعصبيّة المذمومة:

ومن جملة الصفات المانعة لقبول خطاب الحقّ اللجاجة والتعصّب[6].

---

(1) الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص531.
(2) المصدر نفسه، ص 531.
(3) سورة ص، الآية 26.
(4) سورة الأنعام، الآية 116.
(5) سورة الإسراء، الآية 36.
(6) لما كانت هاتان الصفتان متلازمتين بعضهما مع البعض (اللازم والملزوم) ذكرناهما ضمن عنوان واحد.

ويراد من التعصّب التبعيّة والارتباط والدفاع غير المنطقيّ عن أمرٍ ما بحيث يصدّ الإنسان عن اتّباع الحقّ.

واللجاجة تعني الإصرار والعناد بحيث إنّ الإنسان يضع الحقّ والمنطق تحت قدميه ويمتنع عن قبولهما، بل إنّه لو اتّضح له الحقّ لبَقيّ مصرّاً على كلامه الباطل وعمله الخاطئ.

نعم إنّ هاتين الصفتين تمنعان الإنسان من سلوك طريق الحقّ.

يقول الإمام عليّ عليه السلام في مورد اللجاجة: «**اللَّجاجة تسِلُّ الرأي**»[1].

وعن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً أنّه قال: «**إيّاك واللجاجة فإنّ أوّلها جهل وآخرها ندامة**»[2].

وأمّا التعصّب فإنّه يوهن ويضعف أصول إيمان الإنسان بالحقّ، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال:

«**من تعصَّب أو تُعصِّب له فقد خلع رَبَقَ الإيمان من عنقه**»[3].

اللّجاجة والتعصّب من أهمّ علل انحراف الأمم السابقة ورفضها للحقّ كما ذكر القرآن الكريم على لسان النبي نوح عليه السلام حيث يقول: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا﴾[4].

وتشير هذه الآية الكريمة إلى أنّه في زمن نبيّ الله نوح عليه السلام كان عبّاد الأصنام على قدر من اللجاجة والتعصّب منعهم من سماع نداء التوحيد، بل إنّهم كانوا لا يسمحون لنداء النبيّ نوح عليه السلام أن يصل إلى أسماعهم.

(1) نهج البلاغة، مصدر سابق، ص501، الرقم 179. العلامة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج68، ص341.
(2) العلامة المجلسّي، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج74، ص67.
(3) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص 307.
(4) سورة نوح، الآية 7.

المفاهيم الرئيسة

1. المُخاطَب هو أحد الأركان المهمّة في التبليغ، ولذا يجب مراعاته، روي عن النبيّ محمّد ﷺ أنّه قال: «إنَّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلّم الناس على قدْر عقولهم».
2. معرفة المخاطبين تعني التعرّف إلى المتلقِّين للخطاب الدينيّ والتبليغيّ، ومعرفة خصوصيّاتهم الفرديّة والاجتماعيّة.
3. لا بدّ للمبلّغ الذي يودّ تحقيق أهدافه وإيصال خطابه إلى المخاطبين ملاحظة مستوى العلم والمعرفة عنده الجمهور.
4. يجب في تبليغ الدين التعرّف إلى المعتقدات الدينيّة للمخاطبين، من ثمّ وبالتناسب معها نقدَّم الخطاب الملائم لها.
5. إن الالتفات إلى سنّ المخاطب ومراعاته في عمليّة التبليغ يُعتبر من المسائل الهامّة جدّاً في موضوع التبليغ. والسبب في ذلك، أنّ كلَّ إنسانٍ في المراحل العمريّة المختلفة يمتاز بروحيّات وسلوكيّات مختلفة عن الآخر.
6. إن ملاحظة الفرق في جنس المخاطبين ومراعاته في التبليغ من الأمور الهامّة التي يجب مراعاتها في العديد من الموارد مراعاة لخصوصيّة كلّ منهما.
7. أهمّ موانع قبول الخطاب من جانب المخاطبين هي: الإصرار على سيرة الماضين، الشَّخصنة، عبادة الهوى، اتّباع الظنّ والشكّ، اللّجاجة والعصبيّة المذمومة.

مركز المعارف للتأليف والتحقيق

مِنْ مؤسّساتِ جمعيَّةِ المعارفِ الإسلاميَّةِ الثقافيَّةِ، متخصِّص بالتحقيقِ العلميِّ وتأليفِ المتونِ التعليميَّةِ والثقافيَّةِ، وفقَ المنهجيَّةِ العلميَّةِ والرؤيةِ الإسلاميَّةِ الأصيلةِ.

ISBN 978-614-467-073-6

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
لبنان ـ بيروت ـ المعمورة ـ الشارع العام
تلفون: 471070 1 961+ فاكس: 476142 1 961+
www.almaaref.org.lb
Email:info@almaaref.org.lb